T
91A

التربيـــة عنـد الغزالـــــي

نهـاد ابوعيـــاش

رسالـة رفعـت الى دائرة التربيـة في الجامعـــة
الاميركيـة في بيروت لاستكمال المتطلبات لنيل درجة
استـاذ علـــــوم

الجامعـــة الاميركيـــة فـي بيـــــروت
حزيـــــران سنـة ١٩٦٣

الاهـــــــداء

اعترافا بالجميـــل ، وشـكرانا للفضـــل ، اهـدى

رسالتي هـذه ، الى النقطـة الرابعـــة الاميركيـة

التي اعانتني علـى تحصيل العلم العالـي .

كلمـــة الشكـــــــر

ما أحسست بنعمة المعرفة مرة وأنا اكتب هذه الرسالة ،الا وأحسست بحبى العميـق للاعتراف بالجميل وحاجتى الماسة لشكر اساتذتي الذين تفضلوا بمعونتي وارشادى، واخص بالذكر منهم الاستاذة الفاضلة فايـزه انتيبـا لحسن رعايتها عملي فلها يعود الفضـــل بمعناه الكامل فما كانت عندى حاجة الا اوصلتني اليها وما حصلت لي مشكلة الا اعانتني عليها .

واشكر الدكتور حبيب كوراني ،عميد كلية التربية الذى اخذ بيدى الى مرحلـة مـــن المعرفة طالما تاقت نفسي لادراكهـــا .

واشكر الدكتور نبيه فارس الذى اعتبر تعرفي اليه صدفة طيبة ساقها الي القـــدر ، فلطالما طلبت نفسي علما كنت اسعى وراءه فلا اجده لا عند هذا الاستاذ ولاعند ذاك فاعود بعد الانتهاء الى نفسي متسائلة ما هي اذن حقيقة العلم الذى اطلب واين الاستاذ ؟ حتى دفعتني ظروفي واخذت عن الاستاذ فارس المادة التى طالما سعيت لها وبالنهاية وصلت اليها ،واقرارا بالفضل ارجو له عني خير الجـــزاء .

ثم لا احرم نفسي من شكر الاستاذ اسعد العلي ،فله علي فضـــل .

المقدمـــة

لايزال تراثنا العربي في حاجة الى ان يدرس درسا منظما وتحقق موضوعاته بطـــرق البحث الحديثة، فللامة تراث اذا درس او عرض في ثوب جديد شجع قراء العربية على التعرف على ماضيهم الحافل بالكنوز الثمينة من المعارف والعلوم . ناهيك عما في هذا العمل مـــن خدمة تؤدى في احياء هذا التراث ونشره وقد سبقنا اليها غيرنا فكنا عالة عليهم حتى فـــي مسائلنا هذه اذ سبقنا المستشرقون الى الكشف عن تلك المعارف فتناولوها بالبحث وألبسوهـا الاثواب الجديدة، وعلوم الغزالي من تلك الذخائر التي على الرغم من الشهرة الواسعة الـتي نالها صاحبها لم تدرس من المحدثين بما يتفق مع منزلته والكتب التى تناولته بالبحث فـــي اللغة العربية قليلة جدا بالنسبة للمعارف التي توصل اليها ، ولا احسب البحث الذى احققه في هذه الرسالة سوى محاولة ابتدائية في درس موضوع "التربية عند الغزالي" اذ ان للغزالي آراء في التربية لم يعرض لها احد من الذين تناولوا فكره بالبحث انما كانت الاشارة اليهـــا اشارات عابرة دون ان توضح هذه الآراء او يوازن بينها وبين الآراء الحديثة في التربية .

اذن نعني في هذا البحث بالغزالي المربي ، فهو الى جانب كونه صوفيا زاهـــدا وفيلسوفا مدققا ، ومؤلفا منتجا ، ومتكلما عارفا ، مربيا جعل مشكلة الثقافة جزأ لا يتجزأ من نظام اخلاقي عميق "كما انه رأى في التعليم العلاج المطلوب ، اللازم فوصفه على انه انجح مـــن اى عمل اقرته الدولة السلجوقية لابناء امته في ذلك العصـــر" .

وقد اقتضاني هذا البحث العودة الى اكثر مؤلفات الغزالي والاطلاع على ابحـــاث في الموضوع قام بها بحاث عرب وأجانب للاستطلاع على الحقائق والمقارنة بينها حتى يتيسر للبحث الجديد شمول المقررات المقبولة الصحيحة ، وكل هذه المصادر او المراجع متيسرة اذ يمكـــن للباحث في بيروت ان يجدها في مكتبة الجامعة الاميركية ، ومكتبة كلية بيروت للبنات ، ومكتبـــة المقاصد الاسلامية ، ومكاتب اخرى خاصة ، كما يتطلب البحث النظر في سيرة الغزالي والاحاطة بالظروف السياسية والاجتماعية والفكرية اذ ان أثر هذه في خلق العقلية لم يعد من الامـــر الذى يختلف فيه اثنـــان .

ولما كان لحياة الغزالي اثر في نظرياته ارى ان لا بد من البداية في باب اول يتناول سيرته، ثم البحث في عصر الغزالي ليتناول بايجاز الاحوال السياسية آنذاك فالمؤثرات الثقافية التى كان لها شأن في زمانه .

والباب الثاني في البحث يشمل او يعالج مواضيع في نظريات الغزالي في فلسفة التربية كأن نعمد الى شرح آراء له في الالهيات ولا يعنينا في هذا المقام الشرح والتطويل او الخوض في غوامض تلك النظريات ، انما الذى يعنينا هو ايجاز ما ورد على لسانه فيها لنتبين على ضوئها مبررات تعميماته في طرق التربية وغاياتها .

اما الباب الثالث ففيه مادة الموضوع وقد انتقيت لها العناوين الآتية : ـ
تعريف التربية ـ تربية الولد ـ تربية المريد ـ القيمون على التربية ـ الابوين ـ المعلم ـ المرشد ـ مادة العلم ـ العلوم ـ الفنون ـ الاخلاق ، ولاهميتها نخوض فيها بتفصيل يفي بالغرض فنذكر : ـ تعريف الاخلاق عند الغزالي ـ الفضائل الخلقية ـ تربية الخلق ، ثم الملكات البشرية التى تتخلق بالتربية كالارادة والضمير والنية .

ومن الجدير بالذكر ان الذى رغبني بدراسة الغزالي وحببني بالتعرف على تربيته اعتماده في هذه التربية على امكانية تبديل الصفات، والحصول على الاحوال ، ولهذا جهدت في القاء الاضواء الكاشفة على مراميه الفاضلة ، وغاياته السامية في التربية لعلي اسدى بذلك للقارىء خدمة .

موجز الرسالة

يقف الغزالي مع الفلاسفة المربين الذين وضعوا نظما تربوية مرسومة وفقا لفكرة معينة ومذهب فلسفي خاص ، الامر الذى يحتم التعرف على المربي وفهمه فهما صحيحا ، فالغزالي كما يذكر عبد الغافر بن اسماعيل الفارسي نشأ في عهدة احد المتصوفة موصيا به من قبل والده الذى مات وتركه يتيما . لقد توخى هذا الصوفي تنشئة الغزالي تنشئة دينية صوفية كان نتاجها ان اعتنق الغزالي مذهب التصوف واصبح بحق يعد من الائمة العارفين به البارزين فيه، فهو نفسه يذكر كيف انه وجد المذهب من بين المذاهب الشائعة آنذاك ، هو وحده المميز بالحق ، فاتخذه الطريق الموصل الى المعرفة وتعمده السبيل الى تذوق المعاني التي يسعى غيره تذوقها عن طريق العقل .

ان الغزالي صوفي اذن عرف الامور وحددها بمفاهيم المتصوفة ، آمن بوجود الله وشاهد نوره فوحده واعترف بالانبياء وقال انهم وحدهم يرتفع عنهم الحجاب فيتعلمون ويعلمون ، وان الاولياء مثلهم مقتبسون العلم من الانوار العلوية وعنهم تنتقل المعارف الى القلوب البشرية .

للغزالي بحث في النفس فهو يعتبرها لوح العلوم قابلة لجميعها ، وهو يلزم المرء الاشتغال بالتعلم كي تتحقق هذه النفس ، كما للغزالي ايضا ابحاث في السعادة يستشف منها انها تلك الباقية الدائمة التي لا تموت وذلك لان محلها القلب والقلب لا يفنيه الموت ، وان هذه السعادة ليست الا معرفة الله المقصود بها القرب منه بالمعنى لا بالمكان ولا بالمسافة ، هي ليست اذن اتصال بالله ولا هي تأله انما هي لذة القلب العارف لله وفرحة هذا القلب الكاشف لاسرار ملك الله .

ثم نجد الغزالي يبحث في المعرفة وفي سبل الانسان اليها ، فالانسان عند الغزالي عارف بحواسه الظاهرة كما هو عارف بحواسه الباطنة ، فبالحس الاول يعرف ظواهر الاشياء ، بالمماسة والقرب وبالحس الثاني يعرف روح هذه الاشياء "اى معناها وحقيقتها "عن طريق الحدس الديني الذى هو نوع من المعرفة الوجدانية .

يهتم الغزالي بفهم حقيقة الانسان وهو له فيه ادراكات سامية اذ يحسبه من مخلوقات الله الشريفة المدركة للامور الالهية ويعتبره مكلفا بالطاعة مخاطبا بالكف عن المعصية .

ثم بين الغزالي اهمية البيئة في اعداد الفطرة البشرية وتهيئتها لقبول التربية واكتساب العلم اذ بين الفطرة والبيئة تفاعل تام تلزم الافادة منه والغزالي انما ينشد في البيئة هذه التدين والروحانية والتقشف والبعد عن الحياة المادية المترفة ٠

ان التربية عند الغزالي هي تربية دينية خلقية الغاية منها تنمية القلب بالمعارف وتهذيب النفس بالعبادات وهو في هذه يبتدئ مع الطفل اذ يوكل امر تنشأته على التدين والروحانيات الى القيمين عليه ويلزم هؤلاء الابتعاد به عن كل ما يشوه الفطرة او يميل بها عن الخير ٠

ثم متى اصبح الصبي مريدا عهد الغزالي في تربيته الى مرشد ، يعلمه العلم النافع ويراقب عمله بالعلم ، يتعمد المرشد في طريقته على ان يكون القدوة والمثال اذ بمشاهدة التلميذ لآدابه يقتدى به ٠

يلجأ المرشد في اشتغاله بتكميل القلب وتجليته وتطهيره الى المعالجة ايضا فكثيرا ما تحتاج نفس المريد وقلب المسترشد الى تطبيب فينبغي في هذا ان يعرف خلقه ومرضه قبل ان يشتغل في تعليمه ورياضته ٠

اهتم الغزالي في تحديد علم المريد فجعله في قسمين الاول العلم الظاهر والثاني العلم الباطن ٠ وهما مجتمعان يكونان علم طريق الاخرة اذ بالاول يتم صقل مرآة القلب وبالثاني تحصل له معرفة الله ٠ وفي بعض الاماكن يشير الغزالي الى العلم الظاهر على انه العلم العملي والى العلم الباطن على انه العلم العلمي وهو يجعل مصدرهما القرآن والطريق اليهما التصوف وان اشرف العلمين في اعتقاده هو العلمي اذ انه العلم بالله وباليوم الاخر ودونه العملي اى العلم بالصراط المستقيم وطريق السلوك فيجعل حدود الاول في معرفة الله بالصفات والافعال كما يجعل حدود الثاني في معرفة تزكية النفس بترك العقبات المهلكة والتحلي بالصفات المنجية ٠

انه ليتضح لقارئ الرسالة ان سعى الغزالي هو سعي دائم من اجل تحقيق الانسان الكامل ٠ وانه يعتمد على التربية من اجل تحقيق هذا الغرض ، اذ عن طريق هذه التربية تتم تقوية الارادة وتنمية الضمير ، وتنقية النية ٠

هذا انما هو ايجاز لا يستهدف غير الاشارة الى الخطوط العريضة التي هي بمثابة الهيكل للبحث وان بين يدى القارئ الكريم الرسالة الكاملة حيث فيها المادة الشاملة والشرح الوافي ٠

الفهرست

الباب الاول

الفصل الاول • سيرة الغزالي ١

١ ـ سيرة الغزالي الشخصية ١

٢ ـ سيرة الغزالي الفلسفية ٦

٣ ـ في بيان ما ينتسب اليه ٩

الفصل الثاني • عصر الغزالي ١١

١ ـ الحالة السياسية ١١

٢ ـ الحياة الثقافية ١٣

(١) العنصر الاسلامي ١٥

(٢) المؤثرات الخارجية ١٦

١• الثقافة اليونانية ١٦

٢• الفلسفة الهندية ١٧

٣• المعتقدات الفارسية والمصرية ١٨

٤• التعاليم المسيحية ١٨

الباب الثاني

الفصل الثالث • نظريات الغزالي الفلسفية في التربية ٢٠

١ ـ الالهيات ٢٠

(١) الله والنبوة والولاية ٢٠

(٢) النفس ٢٣

(٣) السعادة ٢٦

(٤) نظرية المعرفة ٢٨

١• نظرية المعرفة فيما يتعلق بالمحسوسات ٢٨

٠٢ نظرية المعرفة فيما يتعلق
بالاشياء غير المحسوسة ٢٨
٠٣ حدود المعرفة العقلية ٢٩
٠٤ القلب مصدر المعرفة ٢٩
٠٥ الحدس طريق المعرفة ٢٩

٢ ـ الفلسفة العملية ٣١
(١) طبيعة الانسان ٣١
(٢) الوراثة ٣٣
(٣) البيئة ٣٤
(٤) التربية ٣٦

الباب الثالث

الفصل الرابع ٠ العملية التربوية عند الغزالي ٤١
١ ـ تعريف العملية التربوية ٤١
٢ ـ تربية الولد ٤٨
٣ ـ تربية المريد ٥٢
٤ ـ القيمون على التربية ٦٢
(١) الوالدان ٦٢
(٢) المعلم ٦٤
(٣) المرشد ٦٦
٥ ـ مادة العلم ٦٨
(١) العلوم ٦٨
(٢) الفنون ٧٩
(٣) الاخلاق ٨٠
٠١ تعريف الاخلاق ٨٠
٠٢ الفضائل الخلقية ٨٠
٠٣ تربية الخلق ٨٢

(٤) الملكات البشرية التي تتخلق بالتربيـة ٨٦
٠١ الارادة ٨٦
٠٢ الضميـر ٨٧
٠٣ النيـــة ٨٨

الباب الاول

الفصل الاول
في
سيرة الغزالي

البحث الاول
سيرة الغزالي الشخصية

لم يذكر الغزالي في شيء بقدر ما ذكر في سيرته فقد اخ له المعاصر والمتأخر وكان تاريخهم له تعرضا لسيرته الشخصية، اذ انهم تناولوا نشأته وتعليمه ورحلاته والوظائف التي قام بها .

ان اقدم من ارخ للغزالي هو عبد الغافر بن اسماعيل الفارسي وكان معاصرا له ونقل معظم المتأخرين كلامه اما بنصه ، واما بمعناه . كذلك فعل السبكي ومثله ابن عساكر . وحيث كانت رواية الفارسي على هذه الاهمية ، نعمد الى اثباتها في هذه الرسالة كما وردت في الجزء الخامس عشر من تاريخ دمشق للحافظ ابن عساكر وهو مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق رقمه ٣٣٧٩ .

> محمد بن محمد ابو حامد الطوسي المعروف بالغزالي الفقيه الشافعي كان اماما في علم الفقه مذهبا وخلافا وفي اصول الديانات والفقه وسمع صحيح البخاري من ابي سهل محمد بن عبيد الله الحفصي وولي التدريس بالمدرسة الفاطمية ببغداد ثم خرج الى الشام زائرا البيت المقدس فقدم دمشق سنة تسع وثمانين واربعماية واقام بها مدة وبلغني انه صنف بها بعض مصنفاته ثم رجع الى بغداد ومضى الى خراسان ودرس مدة بطوس ثم ترك التدريس والمناظرة واشتغل بالعبادة انبانا ابو الحسن عبد الغافر بن اسماعيل الفارسي في تذييله تاريخ نيسابور قال محمد بن محمد بن حامد الغزالي الطوسي حجة الاسلام والمسلمين امام ايمة الدين ممن لم تر العيون مثله لسانا وبيانا ونطقا وخاطرا وذكاء وطبعا شد اطرفا في صباه بطوس من الفقه على الامام الراذكاني ثم قدم نيسابور مختلفا الى درس

امام الحرمين وجد واجتهد تخرج في مدة قريبة
وبذ الاقران وحمل القران وصار انظر اهل زمانه
وواحد اقرانه في ايام امام الحرمين وكان الطلبة
يستفيدون منه ويدرس لهم ويرشدهم ويجتهد في
نفسه وبلغ الامر به الى ان اخذ في التصنيف وكان
الامام مع علو درجته لا يصغي نظره الى الغزالي سرا
لاناقته عليه وسرعة العبارة وقوة الطبع ولا يطيب له
تصدية للتصانيف وان كان منتسبا اليه كما لا يخفي من
طباع البشر لكنه يظهر التبجح به والاعتداد بمكانه
ظاهرا خلاف ما يضمره ثم بقي كذلك الى انقضاء ايام
الامام فخرج من نيسابور وصار الى المعسكر واحتل
من مجلس نظام الملك محل القبول واقبل عليه
الصاحب لعلو درجته وظهور اسمه وحسن مناظرته
وجرى عبارته وكانت تلك الحضرة محط رحال العلما
ومقصد الايمة والفصحا فوقعت للغزالي اتفاقات حسنة
من الاحتكاك بالايمة وملاقاة الخصم الند ومناظرة
الفحول ومناقدة الكبار فظهر اسمه في الافاق وارتفق
بذلك اكمل الارتفاق حتى ادت الحال به الى
ان رسم للمصير الى بغداد للقيام بالتدريس بالمدرسة
الميمونة النظامية بها فصار اليها واعجب الكل
بتدريسه ومناظرته وما لقي مثل نفسه وصار بعد امامة
خراسان امام العراق ثم نظر في علم الاصول وكان قد
احكمها فصنف فيها تصانيف وحرر المذهب في الفقه
فصنف فيه تصانيف وسبك الخلاف فحرر فيه ايضا
تصانيف وعلت حشمته ودرجته في بغداد حتى كان
يغلب حشمته الاكابر والامراء ودار الخلافة فانقلب
الامر من وجه اخر وظهر عليه بعد مطالعة العلوم
الدقيقة وممارسة الكتب المصنفة فيها طريق التزهد
والتالة وترك الحشمة وطرح ما نال من الدرجة
والاشتغال باسباب التقوى وزاد الاخرة فخرج عما
كان فيه وقصد بيت الله تعالى وحج ثم دخل الشام
واقام في تلك الديار قريبا من عشر سنين يطوف
ويزور المشاهد المعظمة واخذ في التصانيف المشهورة
التي لم يسبق اليها مثل احيا علوم الدين والكتب
المختصرة منها مثل الاربعين وغيرها من التي من

تأملها علم محل الرجل من فنون العلم واخذ في مجاهدة النفس وتغيير الاخلاق وتحسين الشمائل وتهذيب المعاشر فانقلب شيطان الرعونة وطلب الرياسة والجاه والتخلق بالاخلاق الذميمة الى سكون النفس وكرم الاخلاق والفراغ عن الرسوم والترتيبات والتزى بزى الصالحين وقصر الامل ووقف الاوقات على هداية الخلق ورعايتهم الى ما يغنيهم من امر الاخرة وتبغيض الدنيا والاشتغال بها على السالكين والاستعداد للرحيل الى الدار الباقية والانقياد لكل من يتوسم فيه او يشم فيه رايحة المعرفة والتيقظ لشيء من انوار المشاهدة حتى مرن على ذلك ولان ثم عاد الى وطنه لازما بيته مشتغلا بالتفكر ولازما للوقت مقصودا تقيا وذخرا للقلوب ولكل من يقصده ويدخل عليه الى ان اتى على ذلك مدة وظهرت التصانيف وفشت الكتب ولم يبد في ايامه منا قصة لما كان فيه ولا اعتراض على احد مما اقره حتى انتهت نوبة الوزارة الى الاجل فخر الملك جمال الشهدا تغمده الله برحمته وتزينت خراسان بحشمته ودولته وقد سمع وتحقق بمكان الغزالي ودرجته وكمال فضله وحالته وصفا عقيدته ونقا سريرته فتبرك به وحضره وسمع كلامه فاستدعى منه ان لا تبقى انفاسه وفوايده عقيمة لا استفادة منها ولا اقتباس من انوارها والح عليه كل الالحاح وتشدد في الاقتراح الى ان اجاب الى الخروج وحمل الى نيسابور وكان الليث غايبا عن عرينه والامر خافيا في مستور قضاء الله ومكنونه فاشتد عليه في التدريس في المدرسة الميمونة النظامية عمرها الله فلم يجد بدا من الاذعان للولاة ونوى اظهار ما اشتغل به هداية الشداة وافاد القاصدين دون الرجوع الى ما انخلع عنه وتحرر عن رقة من طلب الجاه ومماراة الاقران ومكابرة المعاندين وكم فرع عصاه بالخلاف والوقوع فيه والطعن فيما بذره وياتيه والسعاية به والتشنيع عليه فما تأثر به ولا اشتغل بجواب الطاعنين ولا اظهر استحاشا بغميزة المخلطين ولقد زرته مرارا وما كنت احدث في نفسي مع ما عهدته في سالف الزمان عليه من الزعارة وايحاش الناس والنظر اليهم

بعين الازدراء والاستخفاف بهم كبرا وخيلا او اغترارا
بما رزق من البسطة في النطق والخاطر والعبارة
وطلب الجاه والعلو في المنزلة انه صار على الصدق
وتصفى عن تلك الكدورات وكنت اظن انه متلفع
بجلبات التكلف متيمن بما صار اليه فتحققت بعد
السير والتنفيذ ان الامر على خلاف المظنون وان الرجل
فاق بعد الجنون وحكى لنا في ليال كيفية احواله من
ابتداء ما ظهر له سلوكه طريق التاله وغلبة الحال عليه
بعد تبحره في العلوم واستطالته على الكل بكلامه
والاستعداد الذى خصه الله به في تحصيل انواع
العلوم وتمكنه في البحث والنظر حتى تبرم من الاشتغال
بالعلوم الغريبة عن المعاملة وتفكر في العاقبة وما
يجرى وينفع في الاخرة فابتدا بصحبة الفارمذى وأخذ
منه استفتاح الطريقة وامتثل ماكان يشير به عليه من
القيام بوظايف العبادات والامعان في النوافل
واستدامة الاذكار والجد والاجتهاد طلبا للنجاة الى
أن جاز تلك العقاب وتكلف تلك المشاق وما يحصل على
ما كان يطلبه من مقصود ثم حكى انه راجع العلوم
وخاض في الفنون وعاود الجد والاجتهاد في كتب
العلوم الدقيقة والتقى باربابها حتى انفتح له
ابوابها وبقي مدة في الوقايع وتكافي الادلة واطراف
المسايل ثم حكى انه فتح عليه باب من الخوف بحيث
شغله عن كل شيء وحمله على الاعراض عما سواه حتى
سهل ذلك وهكذا الى ان ارتاض كل الرياضة وظهرت
له الحقايق وصار ما كنا نظن به ناموسا وتخلقا طبعا
وتحققا وان ذلك اثر السعادة المقدرة له من الله ثم
سالناه عن كيفية رغبته والخروج من بيته والرجوع الى
ما دعى اليه من امر نيسابور فقال معتذرا عنه ما كنت
اجوز في ديني ان أقف عن الدعوة ومنفعة الطالبين
بالافادة وقد حق على ان ابوح بالحق وانطق به
وادعو اليه وكان صادقا في ذلك ثم ترك ذلك قبل
ان يترك وعاد الى بيته واتخذ في جواره مدرسة
لطلبة العلم وخانقاه للصوفية وكان قد وزع اوقاته على
وظايف الحاضرين من ختم القران ومجالسة اهل

القلوب والقعود للتدريس بحيث لا تخلد لحظة من لحظاته ولحظات من معه عن فايدة الى ان اصابه عين الزمان وضنت الايام به على اهل عصره فنقله الله الى كريم جواره بعد مقاسات انواع من القصد والمناوأة من الخصوم والسعي به الى الملوك وكفاية الله وحفظه وصيانته عن ان تنوشه ايدى النكبات او ينتهك ستر دينه بشيء من الزلات وكانت خاتمة امره اقباله على حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم ومجالسته اهله ومطالعة الصحيحين للبخارى ومسلم اللذين هما حجة الاسلام ولو عاش لسبق في ذلك الفن بيسير من الايام يستفرغه في تحصيله ولا شك انه سمع الاحاديث في الايام الماضية واشتغل في اخر عمره بسماعها ولم تتفق له الرواية ولا ضرر فيما خلفه من الكتب المصنفة في الاصول والفروع وساير الانواع تخلد ذكره وتقرر عند المطالعين المصنفين المستفيدين منها انه لم يخلف مثله بعد ومضى الى رحمته تعالى يوم الاثنين الرابع عشر من جماد الاخير سنة خمس وخمسماية ودفن بظاهر قصبة طابران والله تعالى يخصه بانواع الكرامة في اخرته كما خصه بقبول العلم في دنياه بمنه ولم يعقب الا البنات وكان له من الاسباب ارثا وكسبا ما يقوم بكفايته ونفقة اهله واولاده فما كان يتباسط احدا في الامور الدنيوية وقد عرضت عليه اموال فما قبلها واعرض عنها واكتفى بالقدر الذى يصون به دينه ولا يحتاج معه الى التعرض لسؤال ومنال من غيره ٠

البحث الثاني

سيرة الغزالي الفلسفية

أرخ الغزالي لنفسه في "المنقذ من الضلال" وهو في اعترافه هذا انما يكتب السيرة الفلسفية وكيف تقلب في المذاهب المختلفة حتى انتهى به الامر الى سلوك طريق الصوفية .

وتهمنا هذه الناحية من سيرة الغزالي لان في ضوئها نفهم نفسيته ونلم بمنحى تفكيره فنعرف اى مرب هو ، واية طريقة في التربية اختط لمذهبه، واى هدف ابتغى الوصول اليه عن طريق ذلك المذهب .

وحيث نود ان نبين عقيدته نهتم بحادثة خروجه من بغداد حيث يقول :

ثم لاحظت احوالي فاذا انا منغمس في العلائق، وقد احدقت بي من الجوانب، ولاحظت اعمالي - واحسنها التدريس والتعليم - فاذا انا فيها مقبل على علوم غير مهمة ولا نافعة في طريق الاخرة .

ثم تفكرت في نيتي في التدريس فاذا هي غير خالصة لوجه الله تعالى ، بل باعثها ومحركها طلب الجاه وانتشار الصيت، فتيقنت اني على شفا جرف هاو ، واني قد اشفيت على النار ، ان لم اشتغل بتلافي الاحوال .

فلم ازل اتفكر فيه مدة ، وانا ، بعد ، على مقام الاختيار اصمم العزم على الخروج من بغداد ومفارقة تلك الاحوال يوما واحل العزم يوما ، واقدم فيه رجلا وأخر عنه اخرى . لا تصدق لي رغبة في طلب الآخرة بكرة ، الا وتحمل عليها جند الشهوة حملة فتفترها عشية . فصارت شهوات الدنيا تجاذبني بسلاسلها الى المقام ، ومنادى الايمان ينادى : الرحيل ! الرحيل ! فلم يبقى من العمر الا قليل ، وبين يديك السفر الطويل ، وجميع ما انت فيه من العلم والعمل رياء وتخيل ! فان لم تستعد الآن للآخرة، فمتى تستعد ؟ وان لم تقطع الآن (هذه العلائق) فمتى تقطع ؟ فعند ذلك تنبعث الداعية ، وينجزم العزم على الهرب والفرار !

ثم يعود الشيطان ويقول : "هذه حالة عارضة ، اياك أن تطاوعها ، فانها سريعة الزوال، فان اذعنت لها وتركت هذا الجاه العريض ، والشأن المنظوم الخالي من التكدير والتنغيص ، والامن المسلم الصافي عن منازعة الخصوم ، ربما

ألتفت اليه نفسك ، ولا يتيسر لك المعاودة ".

فلم ازل اتردد بين تجاوب شهوات الدنيا ، ودواعي الآخرة ، قريبا من ستة اشهر اولها رجب سنة ثمان وثمانين واربعمئة ، وفي هذا الشهر جاوز الامر حد الاختيار الى الاضطرار ، اذ اقفل الله على لساني حتى اعتقل عن التدريس فكنت اجاهد نفسي ان ادرس يوما واحدا تطييبا لقلوب المختلفة (الي) فكان لا ينطلق لساني بكلمة (واحدة) ولا استطيعها البتة حتى اورثت هذه العقلة في اللسان حزنا في القلب، بطلت معه قوة الهضم ومراءة الطعام والشراب : فكان لا ينساغ لي ثريد ، ولا تنهضم (لي) لقمة، وتعدى الى ضعف القوى، حتى قطع الاطباء طمعهم في العلاج وقالوا : " هذا امر نزل بالقلب ، ومنه سرى الى المزاج ، فلا سبيل اليه بالعلاج ، الا بأن يتروح السر عن الهم الملم ".

ثم لما احسست بعجزي ، وسقط بالكلية اختياري ، التجأت الى الله تعالى التجأ المضطر الذي لا حيلة له فاجابني الذي " يجيب المضطر اذا دعاه "، وسهل على قلبي الاعراض عن الجاه والمال والاولاد (والاصحاب) واظهرت عزم الخروج الى مكة وانا ادبر في نفسي سفر الشام حذرا ان يطلع الخليفة وجملة الاصحاب على عزمي في المقام في الشام ، فتلطفت بلطائف الحيل في الخروج من بغداد على عزم ان لا اعاودها ابدا .

واستهدفت لائمة اهل العراق كافة اذ لم يكن فيهم من يجوز ان يكون الاعراض عما كنت فيه سببا دينيا ، اذ ظنوا ان ذلك هو المنصب الاعلى في الدين ، وكان ذلك مبلغهم من العلم .

ثم ارتبك الناس في الاستنباطات ، وظن من بعد عن العراق ، ان ذلك كان لاستشعار من جهة الولاة، واما من قرب من الولاة وكان يشاهد الحاحهم في التعلق بي والانكباب علي ، واعراضي عنهم ، وعن الالتفات الى قلوبهم، فيقولون : " هذا امر سماوي ، وليس له سبب الا عين اصابت اهل الاسلام وزمرة العلم " .

ففارقت بغداد وفرقت ما كان معي من المال ، ولم ادخر الا قدر الكفاف ، وقوت الاطفال ، ترخصا بأن مال العراق مرصد للمصالح ، لكونه وقفا على المسلمين . فلم

ارفي العالم مالا يأخذه العالم لعياله اصلح منه .
ثم دخلت الشام ، واقمت به قريبا من سنتين لا شغل لي الا العزلة والخلوة ، والرياضة والمجاهدة . اشتغالا بتزكية النفس ، وتهذيب الاخلاق ، وتصفية القلب لذكر الله تعالى ، كما كنت حصلته من علم الصوفية " .(١)

وهكذا ينتهى الغزالي الى تقرير ما يريد من ان طريق التصوف هو السبيل الوحيد للوصول الى المعرفة وان الدافع الاساسي لخروجه من بغداد هو الرغبة في السلوك مع الصوفية .

لقد اعجب الغزالي بطريقة الصوفية اعجابا لا مزيد عليه حتى قال فيهم: " هم السالكون لطريق الله تعالى خاصة ، وان سيرتهم احسن السير ، وطريقهم اصوب الطرق ، واخلاقهم ازكى الاخلاق . بل لو جمع عقل العقلاء ، وحكمة الحكماء ، وعلم الواقفين على اسرار الشرع من العلماء ، ليغيروا شيئا من سيرتهم واخلاقهم ويبدلوه بما هو خير منه ، لم يجدوا اليه سبيلا " .(٢)

كما عرف الغزالي ان طريقهم لاتتم الا بالعلم والعمل معا وان ما يمكن الوصول اليه بالتعلم قليل اذا نسب اليه ما يمكن الوصول اليه بالذوق والحال وتبدل الصفات ، والفرق اصبح عنده عظيم بين ان تعرف الزهد وحقيقته وشروطه وبين ان يكون حالك الزهد ، فالصوفية عنده ارباب احوال لا اصحاب أقوال ، لذلك نجده عندما انكب على تحصيل علوم الصوفية النظرية اقبل على سلوك احوالهم بالذوق والرياضة والاعراض عن الدنيا والهرب عن علائق الحياة . وقد ذاق الغزالي احوال الصوفية بعد ان حصل علومها وارتقى الى ان بلغ في التصوف حال المشاهدة غير انه لم يبح بمثل ما باح به الحلاج وابو يزيد البسماطي فهو لم يزد على ان قال :

وكان ما كان مما لست اذكره فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر (٣)

---

١ ــ الغزالي ، المنقذ من الضلال ، صفه وقدم له جميل صليبا وكامل عياد ، دمشق : مطبعة الجامعة السورية ، الطبعة الخامسة ، ١٩٥٦ ، ص ١٣٠ .
٢ ــ المصدر نفسه ، ص ١٣٢ .
٣ ــ المصدر نفسه ، ص ١٣٤ .

البحث الثالث
في
بيان ما ينتسب اليه

ان التشديد في لفظة "الغزالي" هو المعروف والمعتمد عند المتأخرين وقد ذهب هذا المذهب ابن خلكان وغيره اذ نسبوه للغزل وقالوا الغزالي وهي عادة أهل خوارزم وجرجان .(١)

وقد انكر التخفيف ايضا ،السمعاني وقال "سألت أهل طوس عن هذه القرية فأنكروها وزيادة الياء قالوا : للتأكيد ، وفي تقرير بعض شيوخنا ، للتمييز بين المنسوب الى نفس الصنعة ،وبين المنسوب الى من كان صنعة والده وجده .(٢)

الا ان هنالك فئة تحسب التخفيف صحيحا وان غزالة قرية بطوس واليها نسب الامام الغزالي . وفي اعتقادنا الاخير هو الصحيح ، اذ ان الغزالي نفسه قال في املاء له على احد طلابه انه منسوب الى غزالة بتخفيف الزاى ، قرية من قرى طوس، والمخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق رقمه ٧٦٨٨ . وفيما يلي ترى صورة المخطوط المذكور .

---

١ ــ ابن خلكان ، وفيات الاعيان وابناء الزمان ، الجزء الاول ، مصر : مطبعة عيسى البابي الحلبي ، الطبعة الاخيرة ١٣٥٥ هـ . ١٩٣٦ م ، ص ٢٠٧ .

٢ ــ عبد الكريم الغثمان ، سيرة الغزالي واقوال المتقدمين فيه ، دمشق : دار الفكر ١٩٦١ ، ص ١٧٠ .

بسم الله الرحمن الرحيم

املاه علينا الشيخ الإمام الأجل الزاهد السعيد

الموفق حجة الإسلام زين الدين ابو حامد محمد بن محمد

ابن محمد الغزالي الطوسي قدس الله روحه هذا الكتاب

وهو آخر كتاب صنفه ولم يتمله عنه الا خواص اصحابه

والحمد لله الملك الحكيم الجواد الكريم العزيز

الرحيم الذي فطر السموات والارض بقدرته وذرأ الامم

في الدارين بحكمته وما خلق الجن والانس الا ليعبدوه

فالطريق واضح للقاصدين والدليل لائح للناظرين

ولكن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء وهو العلم

بالمهتدين والصلوة على سيد المرسلين وعلى آله الاكرمين

الطيبين اجمعين وعظم الحمد يوم الدين اعلموا

اخواني اسعدكم الله واياكم بمرضاته ان العبادة غرة

العلم وفائدة العمر وحاصل العبيد الأقوياء وقسم

الاحرار وبضاعة الاولياء وطريق الاتقياء و

مقصد ذوي الهمم وشعار الكرام وحرفة الرجال

واختيار ذوي البصائر وهي سبيل السعادة و

منهاج الحسنة قال الله تعالى وانا ربكم فاعبدون

وقال ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا

ثم انا نظرنا فيها وتأملنا طريقها من مبادئها الى

مقاصدها التي هي مآلنا سالكيها فاذا هي طريق

وعر ومكان صلب وسبيل صعب كثيرة العقبات

شديدة المشقات بعيدة المسافات عظيم الآفات

كثيرة العوائق والموانع خفية المهالك والمقاطع

الفصل الثاني
في
عصر الغزالي

البحث الاول
الحالة السياسية

لقد تأثر الغزالي بعصره وأثر فيه . وهذا يلزمنا البحث عن المؤثرات التي كونت تلك الشخصية ، غير اننا نفضل اختصار القول فنكتفي بوضع صورة قريبة من الواقع للحالة العامة في عصره ليعرف القارئ زمان الغزالي ومكانه وما اثر بالفعل في حياته العقلية ، حيث أن الغرض الاهم من الرسالة انما هو وضع آراء للغزالي في التربية .

اذا تناولنا الاحوال السياسية في عصر الغزالي ووصفنا الجو السياسي آنذاك وجدنا ان لا محيد لنا عن القول من ان الخلافة العباسية كانت في طور تدنيها وانحطاطها وكانت الانقسامات السياسية والدينية هي النتيجة الحتمية لبلد ذهبت فيه هيبة الحكام من النفوس واصبحت مقدرات الدولة بيد الفرق ومن بينها فرقة البويهيين التي تقسمت بلاد فارس، وكان هؤلاء اصحاب ميول شيعية، فكانوا انصار فاطمي مصر المنشقين عن الخلافة العباسية وكانوا يبثون الدعوة لهم مما زاد في تقليل هيبة خلفاء العباسيين ووقارهم فلجأ الخليفة العباسي وكان آنذاك ، القائم بأمر الله الى ايجاد طريقة للتخلص منهم فما رأى سبيلا غير استدعاء السلاجقة وهم سنة مثله فدخلوا بغداد وقضوا على آل بويه .

اهتم ألب ارسلان ، سلطان السلاجقة، وكان متعصبا للمذهب السني ، بأنقاذ مذهب الدولة ، كذلك فعل ابنه ملكشاه من بعده فاستعان بنظام الملك على احداث نهضة ثقافية تقيم للاسلام صرحا دينيا قوى البنيان يقف في وجه العاملين على تقويضه فلجأ نظام الملك الى وسيلته وكانت ان انشأ في عام ٤٥٧ هـ ـ ١٠٦٥ م . المدرسة النظامية في بغداد كما انشئت مدارس اخرى تحمل الاسم نفسه في كل مدينة من مدن الدولة الفتية .(١)

نشأ الغزالي في هذا الجو السياسي المضطرب ، وتربى في مدارس نظام الملك وقد اقر الغزالي نفسه انه كان نتاج النظام التعليمي الذى نشرته دور العلم السلجوقية وكانت

---

١ ـ فارس، نبيه امين ، "الغزالي" ، الابحاث ، ايلول ١٩٥١ ، السنة ٤ ، الجزء ٣ ، ص ٢٥٦ .

غايته من العلم هي نفس غاية من عاصره من الطلاب اى اتخاذه وسيلة للحصول على المنافع الدنيوية حيث قال عن نفسه وعن اخيه " طلبنا العلم لغير الله فأبى العلم ان يكون الا لله".(١)

---

١ ــ فارس، الابحاث، ع٠ س٠، ص ٢٥٧ ٠

البحث الثاني
الحياة الثقافية

كان العالم الاسلامي ، ايام الغزالي ، يخضع لمؤثرات ثقافية مختلفة ، اتخذت لها شكلا واضحا بهيئة عنصرين قويين ، العنصر الاسلامي والمؤثرات الخارجية الى جانبه .

كانت الفترة ، اذن ، فترة معبأة بالعقائد مشحونة بالآراء وذلك حصيلة نبوة ونتيجة احتكاك ، وكان من بين الآراء تلك ، المتضارب والمتقارب ، مما جعل الامر مشكلا على الدارس في تعيين الفرق وتحديد اثر كل فرقة .

في هذا الجو من التناحر الفكري ، نشأ الغزالي وعاش ، وقاس هو نفسه ما قاساه من الاضطراب النفسي في مقابلة الفرق بعضها ببعض فيقول في كتاب "المنقذ من الضلال" انها انحصرت عنده في اربع ، هي : فرقة المتكلمين ، الباطنية ، والفلاسفة ، والصوفية .

لقد انكب الغزالي على دراسة كل فرقة لتفهم علومها واستكشاف اسرارها فألفى علماء الكلام من قدرية وخبرية ومعتزلة يحاجون عن العقائد الايمانية بالادلة العقلية فيقول فيهم : "انهم طائفة انشأها الله تعالى وحرك دواعيها لنصرة السنة بكلام مرتب ، يكشف عن تلبيسات أهل البدعة المحدثة ، على خلاف السنة المأثورة "[1] ، ثم قال : "فأحسنوا الذب عن السنة ، والنضال عن العقيدة المتلقاة بالقبول من النبوة ، والتغيير في وجه ما احدث من البدعة . ولكنهم اعتمدوا في ذلك على مقومات تسلموها من خصومهم واضطرهم الى تسليمها ، اما التقليد ، او اجماع الامة ، او مجرد القبول من القرآن والاخبار ".[2]

وللغزالي مع الباطنية شأن خاص ، فهو الى جانب الباعث الاصلي الذى احسه من الباطن الى دراسة علمهم قد استدعى من الخارج ، اذ ان امرا من الخلافة استحثه للدرس فطلب كتبهم وجمع مقالاتهم فألفاهم يقولون ، انهم اصحاب التعليم وانهم المخصوصون بالاقتباس من الامام المعصوم [3] ، فتركهم ولا حجة له اقوى من ان الامام المعصوم هو محمد وشاهده من القرآن ، الآية ، "اليوم اكملت لكم دينكم ، واتممت عليكم نعمتي ".[4]

---

١ ــ الغزالي ، المنقذ من الضلال ، ع. س. ، ٨١ .
٢ ــ المصدر نفسه ، ص ٨٢ .
٣ ــ المصدر نفسه ، ص ١٠٩ .
٤ ــ المصدر نفسه ، ص ١١٢ .

اما الفلاسفة ، فهم عند الغزالي اهل المنطق والبرهان ، بدأ بدراسة علومهم بعد فراغه من علم الكلام ، ويقول انه حصل علمهم " من الكتب بمجرد المطالعة من غير استعانة باستاذ ، [1] فاطلع على منتهى علومهم .

لقد صنف الغزالي الفلاسفة بسبب علومهم الى ثلاثة أصناف ، الدهريون وهم طائفة انكرت الله وزعمت ان العالم قديم ازلي ، والطبيعيون طائفة آمنت بوجود الله واعترفت بصفاته غير ان هذه الطائفة جحدت الاخرة وانكرت الحساب ، والالهيون القائلون بعدم حشر الاجساد وان علم الله يقتصر على الكليات دون الجزئيات فكفرهم في بعض علومهم ، ورأى ان البعض منها بدع كما انه وجد في علمهم بعض ما لا يستطيع ان ينكره اصلا . ومن يرغب في ان يعرف تفاصيل تصنيفه لهم ، وتقسيمه لعلومهم ، وهذا الذى كفرهم فيه ، والذى قال انهم فيه مبتدعون ، وذاك الذى لم ينكره عليهم ، فليرجع هو نفسه الى المنقذ . اما الذى اكتفى بايراده هنا انه اعلنها حربا على الفلاسفة لانهم خاضوا في العلوم وانتهوا الى نتائج لا تتفق مع دين المسلمين فأصبحوا بنظره خطرا على الاسلام حيث ان تصريحاتهم فعلا بثت القلق والاضطراب بين العوام حتى صاروا يشكون في صحة معتقداتهم فتساهلوا في الدينيات وتركوا الشرائع واهملوا الفرائض .

ثم ينتهى اخيرا الى دراسة طرق الصوفية فيحصلها من مطالعة كتبهم مثل "قوت القلوب" لابي طالب المكي وكتب الحارث المحاسبي ومتفرقات عن الجنيد والشبلي وابو يزيد البسطامي ، كما حصل ما امكنه ايضا من طريقهم بالتعلم والسماع فوجد هذا الطريق ، طريق التصوف ، هو السبيل الوحيد للوصول الى المعرفة ، [2] ولا نعجب فالغزالي صوفي اصلا : ابوه صوفي ، والذى عني به صوفي ، والذين احاطوا به في صباه واثناء شبابه واكتماله اناس اتقياء .

نرى اذن ان الغزالي قد مال الى الصوفية من نشأته وان النزعة تلك كانت الغالبة عليه طيلة ايامه ، وانه مدين لهذا المذهب بأعز ما لديه اى تمكين العقيدة في قلبه فهو بفضله ، اى بفضل هذا المذهب استطاع ان يقول انه يتذوق بروحه ما يحاول غيره ان يتوصل اليه عن طريق العقل .

بعد ان نظرنا الى المجارى الفكرية كما حددها الغزالي نخص من بينها مجرى واحدا هو التصوف فنتعرض الى اصوله ومنابعه والروافد التي غذته وذلك لشيوعه واتسام عصر الغزالي به ولان تأثر به وأثر هو نفسه في اهل العصر حيث اخذ بنصيب من هذه الحركة فبسط هذا التصوف ووفق بينه وبين السنة وجعله مقبولا عند المسلمين واصبح لديهم دعامة يقوم عليها صرح العلم وطريقة تؤدى الى التوحيد .

---

١ ـ الغزالي ، المنقذ من الضلال ، ع . س . ، ص ٨٥ .
٢ ـ المصدر نفسه ، ص ١٢٤ .

والحق ان التصوف في عصر الغزالي كان قد تطور تطورا بالغا وذلك بسبب احتكاك متصوفه الاسلام بغيرهم من الاجانب واخذ هم عنهم المعتقدات والاراء مما غير تصوفهم من دين الى مذهب وحوله من زهد الى معرفة ، ونقله من روحانية الى علم ، ولننظر الان في العناصر التى استمد منها تصوف العصر غذاء كاد يصبح بسببه متلاصق النزعات لا فارق بين الواحدة منها والاخرى نعني ان لافارق يبقي بين الزهد ، والتصوف ، والمعرفة ، والشمول .

اولا ـ العنصر الاسلامي .

يتمثل العنصر الاسلامي في القرآن والسنة وحياة الصحابة . فالباحث المتأمل يجد التصوف مبثوثا في آيات القرآن ومن تلك الايات فهم الصوفية علمهم واستوضحوا طريقهم ، كما أن المتصوفة وجدوا في حياة الرسول مصدرا ثانيا استمدوا منه زهدهم ووجدوا فيه ما يؤيدون به تصوفهم ، اذ كانت حياة الرسول صورة كاملة للصوفي . وكانت احاديثه مفعمة بالنفحات الصوفية . (١)

كذلك كانت حياة الصحابة ، والتابعين واتباع التابعين خير قدوة واعظم مثال لمن اتى بعدهم من الصوفية . (٢)

كما يتمثل العنصر الاسلامي ايضا بالعلم الباطن ، اذ مالت الصوفية منذ اول نشوء الدين الاسلامي نزعة الى اعتبار جوهر الدين في غير الظاهر من الشريعة فوجدوا في آيات القرآن الى جانب تلك التى تحث المؤمن على الذكر والتعبد والصلاة وترك الدنيا ، آيات اعتبرها الصوفيون برهانا على النظريات التى اخذوا بها وجعلوا منها اساسا لآرائهم الصوفية .[٣] نذكر الآية " رب المشرقين والمغربين لا اله الا هو فاتخذه وكيلا "[٤] و "كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون "[٥] وفي الشمول ايضا : الآية "فاينما تولوا فثم وجه الله " .

---

١ ـ ابن خلدون ، المقدمة ، الجزء الاول ، طبعت في المطبعة الادبية ، بيروت ، ١٨٧٩ ، ص ٤٠٨

٢ ـ المصدر نفسه .

٣ ـ السراج ، اللمع ، حققه ، وقدم له ، الدكتور عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور ، مصر : مطبعة السعادة ، ١٣٨٠ هـ ، ١٩٦٠ م ، ص ٤٣ .

٤ ـ قرآن كريم ، سورة المزمل ، آية ٩ .

٥ ـ المصدر نفسه ، سورة الانبياء ، آية ٣٥ .

لقد وجد هذا التصوف مبادئه اذن في الكتاب والسنة والاخذ به في الجماعة الاسلامية في هذا يقول ابن خلدون ، ولا يستبعد هذا ايضا الكثيرون من المستشرقين الذين انكبوا على التحقق من اهمية هذا العنصر اى العنصر الاسلامي فيؤكد مسينيون ، من جانبه ان في القرآن بذورا حقيقية للتصوف وان كل بيئة دينية يتوافر لتقوى ابنائها الاخلاص والتفكير تصلح لظهور روح التصوف . ويرى نيكلسون ، ان التقشف الناتج عن تعاليم الاسلام والذى انتشر وشاع في القرن الاول للهجرة يصلح لان يكون بذورا للتصوف ، كما يذهب المذهب نفسه كولد زيهر عندما يذكر ان التقشف هو في اصل العقيدة الاسلامية وانه مفض الى التصوف . (١)

نجد ايضا كلا من ، فون كريمر ، وريتشارد هارتمن ، يرى في الاسلام تصوفا حقيقيا . ان فون كريمر ، يعتبر العقيدة الاسلامية المعروفة بالذكر توصل الى الذهول تماما كما يوصل اليه الحب الآلهي ، وان ريتشارد هارتمن يجد التوحيد وهو من ابرز عقائد التصوف ، من ابرز تعاليم القرآن . (٢)

ثانيا ـ المؤثرات الخارجية .

ان هذا التصوف الذى تطور من تصوف عمر وعلى الى تصوف الحسن البصرى + ١١٠ هـ ورابعة العدوية + ١٨٥ ثم الى تصوف المحاسبي + ٢٤٣ وأبي يزيد البسطامي + ٢٦١ والحلاج + ٢٤٤ والجنيد + ٢٩٨ والسراج + ٣٧٨ ، والكلاباذى + ٣٨٥ والسلمي + ٣٨٥ والقشيرى + ٤٦٥ . اخذ في سيره الى جانب مبادئه آراء واقوالا وافعالا من اليونانية كما اخذ ايضا من الهندية والفارسية والمسيحية . وفيما يلي نتناول هذه المؤثرات فنبدأ ـ

اولا ـ بالثقافة اليونانية .

نتناول في البحث الثقافة اليونانية على انها احدثت اثرا عميقا في التصوف اذ ان الكثير من آرائها قد تطرق اليه بسبب الاحتكاك والنقل فاليونانية كانت منتشرة في كل الاقطار التي قبلت الاسلام وان تعاليمها كانت منقولة ومشروحة ، وهذا اوضح دليل على ان مذاهب الفيض والاشراق والذهول اصبحت معروفة لدى متصوفة الاسلام وان آراء جديدة في الحلول والاستغراق والتأمل باتت شائعة بينهم .

١ـ Arberry , Arthur J. An Introduction to the History of Sufism, Green and Company, London: 1942 . P.P 49 , 41

٢ـ Ibid. , P.P. 21 , 35 .

يجد الباحث ماكدونالد وثوق الصلة بين التصوف الاسلامي والتعاليم اليونانية لاسيما الافلاطونية الحديثة منها [١] وحجته في ذلك زيارة افلوطين بلاد فارس، كما يرى ايضا نيكلسون هذا التقارب الواضح بين الصوفية والافلاطونية الحديثة ويعزوه الى سبب ترجمة تاسوعات افلوطين واختصارها والتعليق عليها [٢]، ويذهب مذهبهما ايضا كل من مسينيون وكرادیفو فكلاهما يشير في ابحاث له الى ان الاثر اليوناني كان يدخل على التصوف فيؤثر عليه . [٣]

ثانيا — الفلسفة الهندية .

العنصر الهندى كان له الاثر الكبير في تطوير التصوف فالتأمل الهندى احتل مكانة رفيعة بين المعتقدات الصوفية كما تسرب اليها ، اى الى المعتقدات الصوفية ، عنصر المراقبة .

وقد طغى هذا العنصر على ناحيتى الزهد والتقشف السائدتين في العقيدة فتلونت الصوفية آنذاك باللون الهندى .

كذلك انتقلت فكرة الفناء "النرفانا" التى عرفها الصوفيون بالفناء ، وبالمحو ايضا ، ودخلت النزعة الحلولية ، القائلة بالاتحاد ووحدة الوجود ، كما انعكست عن الهندية ايضا عقيدة الرضا وقد تسبب هذا الانتقال وتم دخول هذه العقائد عن توسع العرب في فتوحاتهم اذ انهم دخلوا الديلم واسلم اهلها كلهم على ايدى الفاتحين ثم افتتح السلطان العادل محمود بن سبكتكين بلادا عظيمة في الهند .[٤] كما يرى كل من ماكس هورتن وريتشارد هارتمن ان المتصوفين امثال الحلاج والبسطامي الذين تأثروا بالثقافة الاجنبية كانوا سببا آخر في تطوير التصوف وادخال الجديد عليه ، فالحلاج زار الهند وعاش فيها ردحا صيره براهمانيا والبسطامي تتلمذ على الاستاذ ابي على السندى .[٥] [٦]

---

١ — Arberry, Ar thur J. Op. Cit., P. 33.

٢ — Nicholson, Reynold Alleyne, The Mystics of Islam, London : Bell, 1914, P. 13 .

٣ — Arberry . Op. cit.; P.P. 32, 51.

٤ — ابن حزم ، جوامع السيرة ، تحقيق احسان عباس، القاهرة : دار المعارف، ص ٣٥٠ .

٥ — Arberry, op. cit. , P. 38.

٦ — Ibid , P.P. 38 , 36.

غير ان هذه العناصر بقيت نابية عن افهام بعض المتصوفة ، وحفزتهم على مناهضتها فحاربوا واضطهدوا كل من حملته نفسه على المجاهرة بالتعاليم المغايرة لتعاليمهم الجانحة بالتصوف عن روحانيتهم ، فتسبب عن ذلك قيام مدرستين صوفيتين اعصمتا بالكتاب والسنة وكان الجنيد + ٢٩٨ هـ صاحب المدرسة الاولى وعلى رأس المدرسة الثانية السراج + ٣٧٨ وحمل اللواء فيها الكلاباذى + ٣٨٥ هـ والسلمي + ٤١٢ والقشيرى + ٤٦٥ ، كل هؤلاء كانوا يحاربون كل انحراف فلسفي او شطح ذوقي تسرب الى التصوف الاسلامي .(١)

ثالثا ـ المعتقدات الفارسية .

الى جانب هذين العنصرين الاجنبيين ، العنصر اليوناني والعنصر الهندى ، نلفت الانتباه الى التأثير الفارسي الذى كان يتزايد آنذاك في الاسلام بحكم التجاور والاختلاط .

ان الاشراق الفارسي الذى هو الكشف ، أو حكمة المشارقة الذوقية المنسوبة الى الاشراق وهو ظهور الانوار العقلية ولمعانها وفيضانها بالاشراقات على الانفس عند تجردها ، وحقيقته هي ادراك المعارف بالحدس من غير طريق الحس او طريق البرهان العقلي ،(٢) يصبح عند المتصوفة نورا يقذفه الله في القلب ، و هذه هي الطريقة التى ذكر الغزالي انه حصل عليها بعد شكّ واعتمد عليها بعد ايمانه .

فعقيدة الاشراق او الحكمة الكشفية الذوقية اذن من العقائد المهمة التى تسربت الى التصوف الاسلامي من التصوفات الاجنبية التى كانت سائدة في ذلك العصر وأحدثت فيه اثرا عميقا سبب اطلاقه من اطاره وانعتاقه من قيده .

الا ان بعض ائمة الصوفية كانوا يتمسكون بالكتاب والسنة ويدعون الكشف اذا حصل تعارضا بينه وبينهما .

رابعا ـ التعاليم المسيحية .

قامت مرغريت سميث بأبحاث وافية في التصوف ، قررت على أثرها اهمية العنصر المسيحي في تطوير التصوف الاسلامي . فذنون المصرى الذى جعل الفلسفة جزءا من التصوف الاسلامي

---

١ = السراج ، ع . س ، ص ٥١٨

٢ ـ السهروردى ، حكمة الاشراق ورسالة في اعتقاد الحكماء ، طهران : ١٩٥٢ ، ص ٢٩٨ .

الذى كان في أول عهده خلقيا دينيا عاش مع المسيحيين الاقباط واخذ عنهم [١] . وهي تجد ان من بين الاراء المسيحية التى شاعت بين المتصوفة هي تلك القائلة بأن معرفة الله غير ممكنة بالعقل وانما هي تحصل بالمشاهدة والاتصال الذى معناه الالم وذلك بعد تطهير القلب .

هذا واثبات اثر التقشف المسيحي من الامور الميسورة اذ ان الصوفية اهتموا بأدب السيد المسيح فقلدوه في نزعته الاخلاقية ومن يطالع الرسالة القشيرية يرى فيها الكثير من تعاليم الانجيل واقوال المسيح والاشادة بالمنظمات الرهبانية ، مما أحدث بالغ الاثر في متصوفة العصر ،أثر الحذوة والمثال .

بذلك نكون قد ذكرنا كيف اثرت التصوفات الاجنبية بالتصوف الاسلامي وان تأثيرها كان جنوحا به عن طريقة وتحريرا له من قيده وتطرفا فيه الى ما اوجب التوفيق وانما نهتم بهذا ليتضح لقارئ الغزالي معنى الدور الذى لعبه في هذا التوفيق ، اى في التوفيق بين تطرف المتصوفة المتأخرين وعقائد الدين الاسلامي وكيف يقال فيه بحق انه ادخل معتقدات التصوف وقوانين الزهاد الى نظام الاسلام في مؤلفاته العديدة اذ قال بالكشف واعترف بالاولياء واهتم بالتأمل واعتنى بمعرفة النفس وجعل الايمان طريقا الى الله وطلب الممارسة والمجاهدة سبيلا لسلوك الطريق .

---

١ Smith, Margaret, Studies in carly Mysticism in the Near and Middle East , London : The Sheldon Press,The Macmillan CO, , 1931 , P.P 191, 130

البـــــاب الثانـــي

الفصل الثالث

في

نظريات الغزالي الفلسفية في التربية

البحث الاول

الالهيات

القسم الاول

الله

الله باسمه : يرى الغزالي الله في احرف اسمه فمن الالف يستدل على قيام الحق بذاته وانفراده عن مبدعاته ومن اللام يتيقن انه مالك جميع مخلوقاته ومن الهاء انه هادى من في السموات والارض .(١)

وجوده : يرى الغزالي ان لهذا العالم موجدا واجب الوجود اذ كل ما في الارض يدل بوجوده على موجده وبخلقه على خالقه ، فالموجودات كلها استفادت وجودها منه وهو موجود بذاته .(٢)

نورانيته : " الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ، المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة ، زيتونة لا شرقية ولا غربية " . هذا يعنى انه النور الحق المنبع الاول في سلسلة الانوار ، هو لا يأتيه نور من غيره ومنه تشرق الانوار .(٣)

وحدانيته : يرى الغزالي ان في كل شيء آية تدل على انه الله واحد غير متعدد هو فرد ، منفرد قديم ، ازلي ، مستمر ابدى ، دائم .(٤)

هو اول بالاضافة الى ترتيب الوجود اذ الموجودات كلها استفادت منه وحده وهو آخر بالاضافة الى ترتيب السلوك ومراتب منازل السائرين اليه اذ هو آخر ما ترتقي اليه درجات العارفين وكل معرفة تحصل قبل معرفته مرقاة الى معرفته .(٥)

علمه : هو بكل شيء عليم ، عالم السر والخفيات ، ينظر الى القلوب والنيات ، يعلم بواطنها وخفاياها .(٦)

---

١ ـ كتاب التجريد في كلمة التوحيد ، مخطوط بدار الكتب الاهلية الظاهرية بدمشق : رقم ١٣٦١ .
٢ ـ الغزالي ، المقصد الاسنى شرح اسماء الله الحسنى ، القاهرة : مطبعة التقدم ، الطبعة الاولى ، ١٣٢٢ هـ . ص ٩٨ .
٣ ـ الغزالي ، الجواهر الغوالي ، مصر : مطبعة السعادة ، الطبعة الاولى سنة ١٣٥٣ هـ . ، ١٩٣٤ م . ، ص ١٢٠ .
٤ ـ العقيدة القدسية ، مخطوط بدار الكتب الاهلية الظاهرية بدمشق : رقم ٨٠٧١
٥ ـ الغزالي ، المقصد الاسنى ، ع.س ، ص ٩٨ .
٦ ـ الغزالي ، الجواهر الغوالي ، ع.س ، ص ١٠٦ .

فعلـه : كل ما في الوجود مما سوى الله فهو فعل الله وخلقه وكل شيء تظهر به حكمة اللـه وقدرته وجلالـه .(١)

جـوده : منتهى جوده في رحمته ، هو الرحمن الرحيم ، يرأف بعباده فيغفر لهم ويتوب عليهم انه دائم المغفرة ، تواب كريم .(٢)

هدايته : معرفته تكون بهدى منه ، هو الذى هدى خواص عباده اولا الى معرفة ذاته حتى استشهدوا بها على ذاته وهدى عوام عباده الى مخلوقاته حتى استشهدوا بها على ذاته .(٣)

ويلـزم الغزالي : ـ

أولا توحيده : وهو ان يرى العبد الامور كلها من الله فلا يرى الخير والشر كله الا منه وهذا مقام شريف عند الغزالي اذ يثمر التوكل ويؤدى الى ترك شكاية الخلق وترك الغضب عليهم ويوصل الى الرضى والتسليم الذى هو نهاية العلم والتعليم .(٤)

ثانيا تنزيهـه : ان العبد مكلف لان يعتقد بتنزيه الله تعالى عن كونه جوهرا اوعرضا وعن لوازم كل منهما فلا شبيه بجانسه ولا شريك يعادله . تنزه عن الحلول والانحياز والابتداء والانتهاء .

ثالثا تقديسـه : يوجب الغزالي على المرء تقديس الخالق عن المماثله ، فليس مثله شيء وليس هو مثل شيء ، وتقديسه عن ان يحده زمان او يحوطه مكان (*) كما يلزم ايضا تقديسه عن التغير والانتقال .

رابعا تجريده : وذلك بنفي صفات المخلوقات عنه ، واثبات صفاته باسمائه الحسنى ، وذلك تجريدا لذاته عن التشبيه ، ونفيا للذات عن التعداد بتعدد الصفات .(٦) والى جانب هـذا نجد الغزالي يوجب على العبد احوالا : ـ

---

١ ـ الغزالي ، احياء علوم الدين ، الجزء الرابع ، مصر : مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده ، ١٣٥٨ هـ . ، ١٩٣٩ م . ، ص ٤٢٠ .

٢ ـ كتاب التجريد في كلمة التوحيد ، ع . س .

٣ ـ الغزالي ، المقصد الاسنى ، ع . س . ، ص ١٠٧ .

٤ ـ الغزالي ، احياء علوم الدين ، الجزء الاول ، مصر ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده ١٣٥٨ هـ . ، ١٩٣٩ م . ص ٣٩ .

٥ ـ الغزالي ، الجواهر الغوالي ، ع . س . ، ص . ن .

٦ ـ الغزالي ، جواهر القرآن ، القاهرة ، المكتبة التجارية الكبرى ، المطبعة الثانية ، ١٩٣٣ ، ص ٤٥ .

اولها الايمان به ، اذ يتوجب على العبد ان يؤمن بربه ايمانا في القلب يكون تصديقا ، وايمانا في الروح يصبح عشقا ، ثم ايمانا بالسر يكون مكاشفة .

فالايمان الاول متوجب على العوام يبلغونه بتصديق الخبر واما الخواص فهم بالغو الايمان الثاني ببصيرة وانشراح صدر ، والايمان الثالث لا يبلغه الا خواص الخواص وهو عين المشاهدة وهي مشاهدة المعاني .

ثانيها الاستشهاد بذاته على ذاته ، اعلى مراتب المعرفة ويقول فيها انها ضيقة المجال عصية على الفكر وانها لا تكون الا بالتقديس المطلق والتعظيم المطلق . (١) بكلام آخر هي معرفة العجز عن المعرفة ، هي معرفة استشهاد الذات على الذات وليست معرفة الذات .

ثالثها الاستشهاد بمخلوقاته على ذاته ، والانسان في هذا اما ان يكون مشاهدا يرى الشيء ويرى الله قبله اى انه لا يرى الاشياء الا به والثاني مستدلا يرى الاشياء فيراه بالاشياء (٢) وهكذا تكون الادلة عند الغزالي هي المقربة منه ، الموصلة الى معرفته .

النبوة : ان الغزالي مؤمن بالنبوة ومؤمن بحقيقتها . هي ، كما يقول ، قبول النفس القدسية حقائق المعلومات اذ لاهلها وحدهم العلم اللدني وعنهم وحدهم يرتفع الحجاب (٣) والانبياء هم اصحاب الرسالة ، يبلغون المستفيدين ، المعلومات والمعقولات ويخاطبون الناس على قدر عقولهم .

ويجعل الغزالي الانبياء اطباء القلوب فيلزم اتباعهم والاسترشاد بهديهم . (٤)

الولاية : يقر الغزالي بالولاية على انها طورا ينفتح فيه للصوفية مشاهدات لا يقضي العقل باستحالتها وان يكن عاجزا عن ادراكها . (٥)

كما يعترف الغزالي بالاولياء وانهم مع الانبياء ولكن التفاوت بينهم يكون بالرتب والمنازل ، وهم مثلهم يقتبسون العلم من الانوار العلوية ، (٦) وعنهم تنتقل تلك المعارف الى القلوب البشرية .

---

١ ـ الغزالي ، جواهر القرآن ، ع.س. ، ص ١٠٠ .
٢ ـ المصدر نفسه ، ص ١٢٦ .
٣ ـ الغزالي ، الجواهر الغوالي ، ع.س. ، ص ٣٦ .
٤ ـ احياء ، ج ١ ، ص ٣٦ .
٥ ـ الغزالي ، القصد الاسنى ، ع.س. ، ص ١١٦ .
٦ ـ الغزالي ، الجواهر الغوالي ، ع.س. ، ص ١١٩ .

القسم الثاني
النفس

ان البحث في النفس هو حجر الزاوية وهو المحور الذى تدور عليه نظريات الغزالي في التربية والتعليم ، اذ أن المعارف عنده من مقتضيات هذه النفس ، كما انها هي معدة بالفطرة لتقبل هذه المعارف ومخلوقة لاجلها ، وان سعادتها تتم بها وتحقيقها لا يكون بدونها .

يتناول الغزالي جوانب عديدة للنفس عندما يبحث فيها ، فيعرفها ويلزم معرفتها ، ويوجب تحقيقها كما انه يبحث في قواها وفي انتفاعها بالبدن ونحن نتناول هذه وغرضنا ان نبين آراء الغزالي كما فهمناها من مؤلفاته واستوضحناها من كلماته ، ففي تعريف النفس يلجأ الغزالي الى طريقين الاول التعريف بالاثبات والثاني التعريف بالنفي كأن يثبت لها ماهية وهيئة وينفي عنها الشبه والصفة وغرضه ان يبين صورتها الحقيقية بلا لبس ولا ابهام .

كيف يعرف الغزالي النفس باثبات الهيئة والماهية .

هي نفس الانسان وذاته ، وحقيقته ، والمعنى الزائد عنده ، والخاص به ، الفارق له عن سائر المخلوقات ، وفي خلقها يقول انها من أمر الله خالقها ومبدعها .(١)

وفي مؤلفات الغزالي نجد "القلب" و "الروح المطمئنة" و "النفس الناطقة" و "الجوهر الفرد" كلها اسماء النفس التي هي لطيفة روحانية محضة قائمة بنفسها مستغنية عن المحل ، لا يدركها فساد ولا يعتريها اضمحلال ولا تفنى بل هي دائمة البقاء .(٢)

والمهم انها هي الجوهر الحى المدرك المكلف بالامر ، المخاطب بالنهي ، هي لوح العلوم القابلة لجميعها وان من شأنها التذكر والتحفظ والتفكر والتمييز وانها توصف بحسب اختلاف احوالها فهي "اذا سكنت تحت الامر وزايلها الاضطراب بسبب معارضة الشهوات سميت النفس المطمئنة واذا لم يتم سكونها ولكنها صارت مدافعة للنفس الشهوانية ومعترضة عليها سميت النفس اللوامة وان تركت الاعتراض واذعنت واطاعت لمقتضى الشهوات سميت النفس الامارة بالسوء .(٣)

---

١ ــ الغزالي ، الجواهر الغوالي ، ع . س . ، ص ٢٥ .
٢ ــ الغزالي ، معراج السالكين ويلية منهاج العابدين ثم روضة الطالبين وعمده السالكين ، اعتنى بتصحيحه محمد بخيت القاهرة : الطبعة الاولى ، ١٩٢٤ ، ص ٣١ .
٣ ــ الغزالي ، احياء علوم الدين ، الجزء الثالث ، مصر : مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده ١٣٥٨ هـ . ، ١٩٣٩ م . ، ص ٤ .

تعريف النفس بنفي الصفات عنها .

ولما كان الشبه منقطعا بينها وبين الاشياء يلجأ الغزالي الى وصفها بالصفات السالبة فيوصفها بانها ليست بجسم ولا بعرض ، ليست هي القوة ، الطالبة للغذاء ولا القوة المحركة للشهوة والغضب ولا القوة الساكنة في القلب ، الذى في الصدر من الجانب الايسر ، هي غير متحيزة . (١)

معرفة النفس .

يلزم الغزالي معرفة النفس لان معرفتها مبلغة معرفة الله وهذا هو معنى القول "اعرف نفسك" ومعرفة النفس هذه صعبة جدا ، انما هي تدرك بالعقل ويستدل عليها باثارها وافعالها .

تحقيق النفس .

يهدف النظام التربوى الذى اشاد الغزالي صرحه الى تحقيق النفس، والتحقيق المعنى هنا هو اعادة النفس الى ما علمت في اول الفطرة وعرفت في بدء الطهارة ولا يكون هذا الا بازالة المرض العارض ولا يتم الا بالاشتغال بالتعلم، وبحسب مرضها تكون حاجتها الى العلم ،فربما هذا المرض يستلزم انفاق العمر الطويل في تحصيل العلوم او ربما هو لا يعوزها الى زيادة تعلم وتعب بل يكفيها ادنى نظر وتفكر كي ترجع الى اصلها وتطلع على حقيقتها فيخرج ما فيها من القوة الى الفعل .

قوى النفس .

ولما كانت النفس روحانية كانت عالمة بالقوة ،وانما بسبب اشتغالها بالتعلم ، وتحصيل العلوم تصير عالمة بالفعل .(٢)

ثم يذكر الغزالي للنفس قوتين قوة علمية وقوة عملية ، واما العلمية فهي المدركة لحقائق العلوم اى القضايا الكلية وبهذه القوة هي تأخذ العلوم عن العالم الروحاني وهو عالمها ، وبالقوة العملية تصلح ما وكلت به من الامور الجسمانية ولذا كانت الاخلاق لهذه القوة لان النفس الانسانية كما ظهر جوهر واحد انما لها نسبتان هي بينهما واحدة هي تحتها واخرى هي فوقها .(٣)

---

١ ــ كتاب برهان العلوم ، مخطوط بدار الكتب الاهلية الظاهرية بدمشق : رقم ٧٦٢١ .
٢ ــ الغزالي ، معراج السالكين ، ع. س. ، ص ٣٢ .
٣ ــ الغزالي ، كتاب ميزان العمل ، مصر : مطبعة كردستان العلمية ، ١٣٢٨ هـ . ،ص٢٨ .

ومعناه ان النفس البسيطة جعلت في مادة مركبة هي "البدن" وكما هي مولعة بعالمها هي متطلعة ابدا الى بدنها ، تريد التشبيه بالاول وترغب اصلاح الثاني وهذا مكمن حيرتها بين الجنبين اذ كل واحدة تطالبها بان توفيها حقها وتجريها على السيرة الالهية،[١] ثم وباقتدارها تتجدد منزلتها وبحسب منزلتها تكتسب هيئتها فهي ان مالت بكليتها الى بدنها غلبت على أمرها وانحطت هيئتها وان كان ميلها بالكلية الى عالمها انعتقت وتحررت واشرقت عليها الانوار الالهية اما ان هي بقيت بينهما موفية لهما القسط بالعدل كانت لها الرتبة العالية والهيئة الحسنة .

انتفاع النفس بالبدن .

تكتسب النفس في بدنها الكمال والحكمة في هذا بالغة لا يفهمها الا من اوتي من لدن خالقها علما .[٢]

اما كيف تنتفع هي بهذا البدن امر عالجه الغزالي في مؤلفاته اذ هو يرى ان النفس مدركة في مواضع من البدن هي السمع والبصر ، والشم والذوق واللمس ،[٣] وهذه خمس قوى ظاهرة في البدن والنفس وحدها هي المدركة والدليل على هذا هو ان اى خلل يحدث بأيها يمنع اتصال النفس بها يبطلها كالخدر والموت .

ثم هي ايضا تستفيد بقوى اخرى باطنة في البدن هي الخيال والوهم والفكر . الاول هو في مقدم الدماغ وراء القوى المبصرة وخاصيته بقاء صور الاشياء المرئية فيه بعد انقطاع ما يدرك بالحس . والثاني هو الذى يدرك المعاني ويحفظها والثالث شأنه ان يركب الصور بعضها مع بعض وهو في التجويف الوسط بين حافظ الصور وحافظ المعاني [٤] وهذا حقيق اذ ان الآفات متى نزلت بهذه المواضع عدمت النفس المدركات .

هذا والنفس اذن تنتفع بالبدن بما فيه الحس والفكر فهي تكتسب المعلومات وتنال المدركات بكليهما معا . انما يكون لها قربها او بعدها ، ايثارها للطاعات او ايثارها للمعاصي بحسب التنوير او الاظلام من قبل الحواس والفكر على حد سواء ، فلهذا السبب كان وجوب طلبها للعلم ولزوم اشتغالها بالتعلم .

---

١ ـ الغزالي ، معراج السالكين ، ع . س . ، ص ٥٥ .
٢ ـ المصدر نفسه ، ص ٣٣ .
٣ ـ المصدر نفسه ، ص ٢٥ .
٤ ـ الغزالي ، معراج السالكين ، ع . س . ، ص ٢٦ .

القسم الثالث
السعادة

ليست السعادة عند الغزالي اتصال بالله ولا هي تأله ، فهي اذن تبقى من الامور الروحانية غير المحدودة بتعريف الماهية والجوهر . غير ان للغزالي في معرفتها شأنا آخر اذ انه يذكر لها صفات ويسمي لها نعوتا ويعدد لها درجات ويستجلي لها طريقا ، ونحن نذكرها حيث هي عنده من الاهمية بمكان يجعلها ثمرة العلم ونتيجة التربية ، فنتناول :ـ

أولا السعادة في صفاتها : اذ هي في بقاء لا فناء له ، وفي دوام لا انقطاع معه لا يقطعها الموت ولا هي تبطل به ، محلها القلب والقلب لا يفنيه الموت ، (١) (٢) ثم الى جانب هذا هي في الخلو من المزاحمات والمكدرات كما هي في اتساعها للمتواردين عليها . وهكذا نرى السعادة عند الغزالي ، هي عين صفات لها مسعدة ، اكثر من ان تكون اى شيء آخر .

ثانيا السعادة في نعوتها : اى انها معرفة ، معرفة الله هنا المقصود بها القرب بالمعنى والحقيقة لا بالمكان والمسافة ، وهذا القرب يكون نتيجة علم بصفات الله وافعاله ونظام مملكته . (٣)

انها ايضا لذة ، وهو يجعلها اجل اللذات ويؤثرها على كل لذة ويقول انها لقلب الانسان بمقتضى طبعه وهو لأجلها خلق . فالانسان انما هو جامع لقوى ولكل قوة لذة ، فللقلب لذة تماما كما للعين لذة وللاذن لذة وكذلك لسائر القوى . (٤)

ثم الى جانب انها معرفة ، وانها لذة هي ايضا فرح ، فالانسان يفرح في كل ما يعرف وأنه لا يترك ما يعرف ولو نهي عنه والانسان ايضا لا يبقى له صبر عما يعرف ، والغزالي يقول : "فاما من طال فكره في معرفة الله وقد انكشف له من اسرار ملك الله ولو الشيء اليسير فانه يصادف في قلبه عند حصول الكشف من الفرح ما يكاد يطير به ويتعجب من نفسه في ثباته واحتماله لقوة فرحه وسروره" . (٥)

وبعد هذا نجد الغزالي يضعها في درجات ويبين لها طرقا ويجعلها صفة للنفس وهيئة لها .

---

١ ـ احياء ، ج . ٤ ، ع . س . ، ص ٣٠١ .
٢ ـ الغزالي ، الجواهر الغوالي ، ع . س . ، ص ١٧ .
٣ ـ احياء ، ج ١ ، ع . س . ، ص ١٩
٤ ـ الغزالي ، الجواهر الغوالي ، ع . س . ، ص ١٦ .
٥ ـ احياء ، ج ٤ ، ع . س . ، ص . ن .

يجعل الغزالي السعادة في ثلاثة درجات اعلاها في المشاهدة وهي هنا مشاهدة ذوقية للصفات والافعال والنظام • وهي تبقى ولا تفنى وهي وان تكن للانسان بمقتضى طبعه فهو لن يتوصل اليها الا بالله وبتوفيق منه •

ثم تليها السعادة الثانية ، وهي مرقاة للدرجة الاولى ، ويجعلها في الفضائل النفسية وهي في العقل وكماله العلم ، في العفة وكمالها الورع ، في الشجاعة وكمالها المجاهدة ثم في العدالة وكمالها الانصاف وهي اصول الدين •

ثم تتكامل السعادة الثانية بالسعادة الثالثة وهي الفضائل البدنية المنحصرة في الصحة والقوة والجمال وطول العمر •(١)

وخلاصة الكلام ان الغزالي يرى تنوع السعادة بتنوع اصناف البشر ، ففي الناس خواص الخواص وخواص وعوام ، فالفريق الاول واصل الى الدرجة الاولى ، وهي المشاهدة والفريق الثاني بالغ الدرجة الثانية ، وهي تمام الفضائل النفسية والعوام باقون في السعادة الاولى فانون بها • وعلى هذا التنوع ارسى الغزالي اسس تربيته فسعى لايصال كل صنف من البشر الى نوع السعادة الذى يتمكن بلوغه عن طريق تربيته تربية صوفية صحيحة •

الطريق المفضية الى السعادة :

من الطريف ان الغزالي يذكر الطريق على انها صنعة تحويل يشبهها بصنعة الكيمياء وقد افرد من مؤلفاته مؤلفا خاصا اسماه "كيمياء السعادة" اوضح فيه سبله فيها ، اى في الصناعة •

انما التحويل الذى يعنيه ليس هو الا المجاهدة والرياضة فالنفس ينبغي لها ان تتحول من هيئات ردية تقتضيها الرذائل الى هيئات حسنة تقتضيها الفضائل ،(٢) ولا يحصل هذا التحويل الا بالعلم والعمل اذ بالعلم نميز بين السعادة والشقاء ونحصل ما يلزم تحصيله وبالعمل نغرق بين العمل المسعد والعمل المشقي ، ونزيل ما تلزم ازالته •(٣) وهذا يقتضي من الانسان الاشتغال به على الدوام اذ ان الحس والتخيل وعوارض النفس من العوائق الغالبة وهي لا تغالب الا بالتجرد عن الدنيا والتفكر بالامور الالهية •

---

١ ــ الغزالي ، كتاب ميزان العمل ، ع • س • ، ص ١٩٢
٢ ــ المصدر نفسه ، ص ٤٣ •
٣ ــ المصدر نفسه ، ص ٣٩ •

القسم الرابع
نظرية المعرفة

نظرية المعرفة عند الغزالي قسمان ، قسم يتعلق بالمحسوسات ، وادراك هذه يكون بالحواس ، وقسم آخر يتناول الاشياء غير المحسوسة ، كمعرفة الله مثلا ، وهذه يعرفها عن غير طريق الحواس . وانما هذا التقسيم بالنسبة للوجود الذى هو عند الغزالي وجودان ، احدهما وجود حسي وثانيهما وجود عقلي ونحن ننظر الان في القسم الاول ، اى في الوجود الحسي والمحسوسات فيه والحواس المدركة له .

نظرية المعرفة فيما يتعلق بالحواس .

يرى الغزالي الوجود الحسي في كل مافيه مماسة وقرب ، والمماسة والقرب هذه الاجسام ويسمى عالمها بعالم الشهادة المدركة مرئياته بالقوى الحاسة [١] وهي خمسة : السمع ، اللمس ، الذوق ، الشم ، والبصر ، وهو اقواها ، وهذه الحواس ، وان لم تتبدل المحسوسات ، ليست بمأمن من آفات يتسبب عنها الغلط .

ويرى الغزالي ان اول مراتب الادراك عند الانسان هو هذا الادراك الحسي اذ أن النفس في اول الامر مذعنة للحس منقادة لاحكامه ، تألفه بفطرتها وتعتاد عليه من اول امرها ، ولا يبطل عندها الا بعد وقت ، تدوم الموافقة لها فيه تارة ، والمخالفة طورا ، وتتيقن بعد هذا الوقت من عجز فيه ، اى في حاكم الحس ، وتقصيره عنده ، كأن تعقل مثلا ان العين تدرك الكبير صغيرا فترى الشمس بمقدار اصغر بكثير من حقيقتها ، او تدرك المتحرك ساكنا اذ العين لا ترى الظل يتحرك .[٢] ثم ننظر في القسم الثاني وهو الوجود العقلي فنتناول :ـ

نظرية المعرفة فيما يتعلق بالاشياء غير المحسوسة .

ان الاشياء غير المحسوسة لها وجود مغاير تماما للوجود الحسي ، يعرفه الغزالي بالوجود العقلي ويقول فيه انه روح الاشياء ، معناها وحقيقتها وهو يحتكم في هذا الى "العقل" حيث هو طور وراء الاحساس وهو يدرك المعاني الخارجية عن الحس ،[٣] كما يحتكم ايضا الى "القلب"

---

١ ـ الغزالي ، الجواهر الغوالي ، ع . س . ، ص ١١٧ .
٢ ـ المصدر نفسه ، ص ١١٦ .
٣ ـ المصدر نفسه ، ص ١٣٦ .

على انه طور آخر يأتي بعد العقل فيبصر امورا يكون العقل معزولا عنها ، وللغزالي في هذه الادراكات ابحاث مستفيضة وشروحات وافية لا حاجة لبحثنا هذا الا للنزر القليل منها ، وذلك حتى تتضح بعض الشيء نظريات له ، تعد بحق اسس بنيان تربوي قد اقامه . ونحن نذكر من ابرز نواحيها :ـ

اولا . حدود المعرفة العقلية : فالغزالي يقف من العقل موقف المؤمن به ، الواثق من استعداده لقبول العلوم النظرية والمتيقن من امكانياته في معرفة الجائزات والمستحيلات كما انه يرى هذا العقل في الانسان طورا يأتي وراء طور الاحساس (١) وهو افضل منه ولا يطرأ عليه ما يطرأ على الحس من غلط، لكن الغزالي يفيد هذا العقل ويضع له حدودا لا يتجاوزها ، فالمسائل الالهية مثلا ليست في نطاق حدوده لا يجوز له اكثر من الحكم عليها بالامكان ، فلا الاثبات ولا النفي هما طاقته .

ثانيا . القلب مصدر المعرفة : نرى اذن ان الغزالي يعتقد ان العقل لا يستطيع الاحاطة بجميع المطالب ، وانه لا بد عنده من مدرك آخر يأتي بعد العقل ، تماما كما اتى العقل بعد حاكم قلبه وهذا المدرك عند الغزالي هو القلب ، هذه اللطيفة العالمة المدركة من الانسان وهي بكلام آخر حقيقة الانسان التي بها يدرك اقصى المعارف ، (٢) (٣) اما كيف يدركها فذلك بواسطة حواسه اذ له حواس خمس ، فله سمع وله بصر وله شم وله ذوق وله لمس (٤) وكلها مستعملة في العارف الغيبية ويلزم لهذا القلب اعداد وتحضير حتى ينجلي ويصبح مرآة مجلوة تنعكس عليها المعارف المطلوبة انعكاسا يطلب بصفائه ويعرف بوضوحه . (٥)

الحدس طريق المعرفة : انتهى الغزالي اذن بتحديد طريقة المعرفة في الحدس الديني وهو نوع من المعرفة الوجدانية اخذه عن الصوفية واثبت بواسطته وجود الله وحدد نطاق العقل . اذ هو يقول " ان من ظن ان الكشف موقوف على الادلة المجردة فقد ضيق رحمة الله الواسعة " . (٦)

---

١ ـ الغزالي ، الجواهر الغوالي ، ع . س . ، ص ١٣٦ .
٢ ـ الغزالي ، معراج السالكين ، ع . س . ، ص ١٦٦ .
٣ ـ احياء ، ج ٣ ، ع . س . ، ص ٣ .
٤ ـ الغزالي ، جامع الحقائق بتجريد العلائق ، ابسالة المكوسيت وويكسل ، ١٩٣٧ ، ص ١٩ .
٥ ـ الغزالي ، الجواهر الغوالي ، ع . س . ، ص ١٤ .
٦ ـ الغزالي ، المنقذ من الضلال ، ع . س . ، ص ٧٦ .

والطريق هذه انما هي الهامية غير تعليمية اذ ان مدركاتها حاصلة بعد ارتياض وتصـــوف دون اكتساب وتعلم (١) (٢) . وهكذا كانت سبيله التربوية تعتمد الناحية الالهامية التي تجـــيء بالرياضة الصوفية اكثر من النواحي التعليمية التي تعتمد الاكتساب والحفظ .

---

١ ــ احياء ، ج ٣ ، ع . س . ، ص ٢١ .

٢ ــ الغزالي ، الجواهر الغوالي ، ع . س . ، ص ١٥ .

البحث الثاني
الفلسفة العملية
القسم الاول
الانسان

من شأن الفلسفة العملية البحث في الانسان اذ هو غايتها والغرض منها ، وللغزالي في هذا ادراكات سامية احتوتها اكثر مؤلفاته فهو قد نظر في مخلوقات الله وتبين الحكمة فيها وخص الانسان من بينها باوفى تفصيل ، ونحن هنا نحاول الالمام بهذا الموضوع من كل نواحيه ولو بايجاز حتى نتبين القانون التربوى والنظام التعليمي الذى ارتاه الغزالي ملائما وموآتيا لانسانه فنذكر من معارف الغزالي :ـ

اولا • مرتبة الانسان بالنسبة الى تكوينه : الانسان في الوجود بين البهائم والملائكة رتبة • يقترب من الاولى في الادراك الحسي كما يقترب من الثانية في الادراك العقلي [١] وهو يشترك مع الاول بالجسم المدرك بالبصر ، ويشترك مع الثانية بالنفس المدركة بالعقل والبصيرة ، وهي من الامور الالهية [٢] [٣] وهو بها امتاز عن الحيوان وبسببها اهتدى الى العلم ولاجلها خوطب وكلف بالامور الانسانية [٤] •

ثانيا • خاصية الانسان : اذ ان خاصية الانسان الحي الادراك ، وبقدر ما تقرب هذه من الكمال يقرب الانسان من انسانيته اى انه يحققها ، وهو يتوصل الى هذا ، اى الى تكميل ادراكه بالعلم والعمل ايضا •

وفي الادراك هذا ، يعني الغزالي ادراك حقائق الاشياء وهي ممكنة ، لان الانسان بفطرته التصديق بها ، وهو بالقوة مدرك لها ، ولا ينبغي له غير استعمال جميع اعضائه وقواه فيما امر به • [٥]

---

١ ـ الغزالي ، المقصد الاسنى ، ع • س • ، ص ٧٦ •
٢ ـ الغزالي ، كتاب ميزان العمل ، ع • س • ، ص ٢٢ •
٣ ـ الغزالي ، الجواهر الغوالي ، ع • س • ، ص ٢٣ •
٤ ـ الغزالي ، معراج السالكين ، ع • س • ، ص ١٧٢ •
٥ ـ الغزالي ، الحكمة في مخلوقات الله ، القاهرة : خانجي ، الطبعة الاولى ١٩٠٣ ، ص ٣٥ •

ثالثا • تفتح الانسان وتدرج نموه في اطوار متعاقبة: للانسان في ادراكه اطوار خلقت فيه على التعاقب ، واول هذه الاطوار طور الادراك بالحواس ، وللادراك بها يحتاج الى قرب من المحسوس ومماسة له ويكون ذلك بسعي منه وحركة له ويعتبر الغزالي هذا الطور دائما حتى السبع سنوات حيث يخلق طور ثان هو طور التمييز الذى يظهر في الفترة الواقعة بين السابعة من العمر والرابعة عشرة ، وفيه يدرك المميز اشياء جديدة غير الاشياء المحسوسة وان كان ادراكه لها غير عقلي تام ، حيث يعقب هذا الطور اشراق نور العقل وهو طور ثالث يبدأ بعد خمس عشرة سنة وما يقاربها [1] وفي هذا الطور لا يحتاج الانسان الى حركة ولا يطلب القرب من المدرك اذ ان مدركاته معقولة غير محسوسة ثم يأتي طور اخير يكون القلب فيه اشد ادراكا من غيره وتكون المعاني المدركة به اجمل وألذ المعاني •

ويعتبر الغزالي اطوار الادراك عند الانسان مماثلة لاطوار اللذة ومثال ذلك ان الصبي يستلذ في سن التمييز اللعب ، وفي سن البلوغ حب النساء والزينه ، وبعد العشرين حب الرياسة ، وبقرب الاربعين حب العلوم وهي لذة القلب والغاية العليا • [2]

ولذلك حاول ان يجعل مناهج تربيته عملية موافقة لتطور الانسان •

---

١ ــ الغزالي ، الحكمة في مخلوقات الله ، ع • س • ، ص ٢٥ •

٢ ــ احياء ، ج ٤ ، ع • س • ، ص ٢٣ •

القسم الثاني
الوراثة

ان للغزالي في الوراثة رأيين مختلفين ، ففي بعض كلامه حكم بوراثة الاخلاق ، وفي بعضه الاخر حكم يجعل للتربية السلطان الاكبر في تكوين النفوس وتثقيف العقول .

فالغزالي عندما يقرر سريان الامزجة من الاصول الى الفروع ، بقوله : "ان النسب الديني امارة الديانة ، لان العرق نزاع" (١) (٢) ، وعندما يحض في تربية الطفل على ان تكون المرضع امرأة صالحة متدينة تأكل الحلال ، انما يحكم حكما صريحا بعامل الوراثة وشأنه في تربية الطفل وتنميته ، كذلك حينما يذكر الحياء في الطفل على انه ميل من الطبع ، وانه غريزة بالفطرة ، وانه يجب استغلال هذا الميل وتنمية هذه الغريزة كأنما يحكم ايضا بوجود الوراثة واعتماده على حقيقتها في تربية الطفل وتعليمه ، اذ لا يستغل مثل الظاهر ولا ينمى غير الموجود .

لكن الغزالي حينما يتكلم في التربية ، ويقرر ان قلب الطفل "جوهرة نفيسة ساذجة خالية من كل نقش وصورة وهو قابل لكل ما ينقش عليه ومائل الى كل ما يمال به اليه فان عود الخير وعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والاخرة وان عود الشر وأهمل اهمال البهائم شقي وهلك" (٣) ينفي عامل الوراثة اذ الغالب على ظنه ، في هذا ان الفطرة الانسانية تصلح لكل شيء ، وأن ليس لها قبل التربية اى لون او اى ميل فهي تكتسب هيئتها بالتربية وان الوالدين والمعلمين يسعدون الصبي او يشقونه بما يقدمون له من عادات وتعليم اذ هم يكملون هذه النفس بالتربية ويغذونها بالعلم .(٤)

---

١ ـ الغزالي ، كتاب ميزان العمل ، ع . س . ، ص ١١٢

٢ ـ المصدر نفسه ، ص ١٢٧

٣ ـ احياء ، ج ٣ ، ع . س . ، ص ٧٠

٤ ـ احياء ، ج ٣ ، ع . س . ، ص ٥٩

القسم الثالث
البيئة

تناولنا الفلسفة العملية على انها موضوع قد ألم الغزالي به الماما خاصا وفصل فيه تفصيلا وافيا ، ولما كان غرضنا الايجاز ذكرنا باختصار تفهمه اولا لحقيقة الانسان الفرد ثم اشرنا الى رأيه في الوراثة ونحن نذكر الان علمه بأهمية البيئة واعتماده عليها في العملية التربوية اذ ان الغزالي يذكر البيئة على انها عنصر هام من العناصر المتفاعلة في تكوين الصبي الناشئ وتهيئته لاكتساب الهيئة الحسنة واعداده لتحصيل العلم النافع .

يذكر الغزالي في عدة مواطن من مؤلفاته ما يفيد بأن عملية التربية ما هي الا علمية تفاعل بين الفطرة والبيئة ، وان هذه البيئة التى نحن في صدد التكلم عنها تنحصر في بيئتين اثنتين ، واحدة منها بيئة مادية واخرى هي البيئة الانسانية وفي كلتيهما تظهر نزعة الغزالي الصوفية اذ هو ينشد فيهما معا التدين ، والروحانية ، والتقشف ، والبعد عن الحياة المادية المترفة .

يطلب الغزالي في البيئة المادية البعد ، كل البعد عما بها مما تهوى النفس او تميل اليه ، فلا الزينة في هذه البيئة مقبولة ولا أسباب الرفاهية مرغوبة كأن يطلب تعويد الصبى خشونة العيش ، (١) (٢) وهو يلجأ الى المنع والقمع كوسيلة للوصول الى هذه الغاية اذ يمنع من لبس الملون كما يمنع من الفراش الوثير ومن النوم نهارا ومن الطعام المنوع وغير هذه مما يلزم قمع كل رغبة تميل بنفس الصبي الى الترفه والتنعم ، والتلذذ .

وهو يطلب في البيئة الانسانية البعد عن كل ما يشوه الفطرة ، او ينحرف بها عن الطهارة والنقاوة ويجعل اصل تأديب الصبي الحفظ من قرناء السوء (٣) (٤) وفي هذا اشارة الى أن المخالطة من الامور المهمة في تنشئة الصبي تنشئة سوية وهو يرغب في ان يخالط الصبي المتدينين من القرناء المثابرين على الصلاة والطهارة والصيام والذكر فهو بهذا انما يقتبس عنهم الخلق الحسن كما يمارس معهم تعود الصفات المحمودة وترك الصفات المذمومة كما انه يلزم هذا الصبي

---

١ ــ بيان الطريق في رياضة الصبيان ، مخطوط بدار الكتب الاهلية الظاهرية بدمشق : رقم ٨٩٤٨
٢ ــ احياء ، ج ٣ ، ع . س . ، ٧٠
٣ ــ منهاج المتعلم ، مخطوط بدار الكتب الاهلية الظاهرية بدمشق : رقم ٧٤٦١
٤ ــ بيان الطريق في رياضة الصبيان ، ع . س .

القيام ببعض الواجبات متعمدا تنمية الفضائل في نفس الصبي فيمنعه من الافتخار على الاقران كما يحثه على الاعطاء دون الاخذ ، ويحذره من القسم ومن السرقة واكل الحرام والكذب والفحش ، ومن اللعن ايضا ولغو الكلام ، ومن الكلام الزائد عما يقتضي السؤال ونحن نجد في كل هذه امورا انما الغاية منها تمرس الصبي بالفضائل واعتياده عليها حتى تصبح هيئة للنفس راسخة ، لا تكلف في القيام بها او تصنع . وان الهدف التربوى الذى يتوخى من كل هذا هو تكميل النفس واعدادها لان تميل الى العلم وتقبل العلوم .

ويعاود الغزالي في مناسبات كثيرة تأكيده ما قدمنا من تنشئة الصبي على التزين ، والتدليل والتنعم والتراخي والكسل والتساهل في التعامل مع الناس من حيث رفع الكلفة بينه وبينهم والسهولة في الاخذ والرد معهم من الامور غير المستحسنة لان هذه التنشئة كفيلة لان تميل بالنفس الى غير ما خلقت له وتنحرف بها عن السبيل الذى كلفت بأن تخطه او تسلكه .[1] وفي هذا نجد الغزالي قاسيا ، صارما غير معتدل يميل الى حد المغالاة في سلوك المضادة لكل ما تهواه النفس وتميل اليه وترغب فيه وتنبسط به ، ويلجأ الى حد العنف في قمع الرغبات وكبت الاهواء والعمل على اتيان عكسها تماما مما يجعله على النقيض ، وفي طرف آخر قبالة مربين جدد يرون سواء السبيل في غير هذه النزعة .

---

١ ــ بيان الطريق في رياضة الصبيان ، ع . س .

القسم الرابع
التربية

للغزالي عقيدة قوية فيما يمكن ان تفعله التربية للانسان ونحن نذكر في باب الفلسفة العملية المبادئ الاجمالية التى تعتبر بحق هيكلا للنظام التربوى الشامل الذى انشأه الغزالي وعمل على نشره . والمبادئ هذه متعددة ، يتفق الغزالي مع المربين المحدثين في بعضها ويختلف معهم في بعضها الاخر ونحن نذكر هذه المبادئ ونشير الى مواطن التخاصم والوفاق :ـ

اولا . مبدأ التكميل والتعديل والتجميل : يجد الغزالي الانسان من الموجودات التي خلقت ناقصة وجعلت فيها قوة لقبول الكمال اذا وجد شرط التربية [1] ، فالتربية عند الغزالي اذن واجبة من اجل تنمية الطفل واعانته على بلوغ حد النضج اى التكامل في الطبيعة والطباع وهو يختار له من التربية الصالحة ما يجمله بالحسن والخير وهو في هذا يطلب التعديل دون التغيير اذ يقول ان اى محاولة من المربي ليحدث تغييرا كاملا او اية رغبة عنده في القضاء على بعض الطباع وابادتها لا تفي بالغرض اذ يكون المطلوب مناف لطبيعة الاشياء . وفي هذا نجد الغزالي مع المربين المحدثين الذين يجدون في الغرائز والنزعات ضرورة طبيعية وخصائص ضرورية قد خلقت لاجلها وانما التربية واجبة لها من اجل تهذيبها لا من اجل كبتها او تبديلها . كما اننا نجد الغزالي متفقا خير اتفاق مع المربين الجدد في مبدأ ثان هو مبدأ :ـ

ثانيا . تناسب العمل التربوى مع المستوى العقلي : نجد الغزالي يعطي هذا المبدأ اهتماما بالغا ، وهو يشير اليه في مواطن كثيرة الى انه من الامور الخطيرة ، واهتمامه في هذا يبلغ حدا يخشى مع اهماله او تركه اتلاف الفطرة ووقوع الخسارة .

من الواجب اذن ان لا يهمل هذا الامر بل ينبغى على المربي ان ينظر في عمله متوخيا دائما تناسب افعاله مع تدرج نمو الطفل العقلي ، كان يعمد مثلا الى تطهير المعلومات وتنظيمها وتبسيطها حتى تناسب العقول كما ان اختيار العلوم يشترط ان تكون بحيث تتناسب مع المستوى العقلي للمتعلم .[2]

---

١ ـ الغزالي ، كتاب ميزان العمل ، ع . س . ، ص ٦٨ .

٢ ـ منهاج المتعلم ، ع . س . ، ورقة ١٠ .

ثالثا • مبدأ الفروق الفردية : من مبادئ الغزالي التربوية المنظور اليها على انها دعامة في النظام ، تأكيد نزعات الفروق الفردية ، فالمتعلم في اعتقاده فرد يلزم المعلم لان يعتقده كذلك ، اى له سنة ومزاجه ، وميوله ونزعاته ، وحاجاته الخاصة به دون سواه من المتعلمين معه • مما يتطلب من المربي تكييف الطريقة لان تلائم هذا الفرد فيما يمكن ان يقبله او لا يقبله تبعا لتكوين شخصيته وحده •(١)

رابعا • مبدأ اهمية معرفة المعلم لطبيعة المتعلم : لقد اكد الغزالي اهمية دراسة المعلم لنفسية تلميذه حتى يتمكن من تكييف الطريقة التى يعامل بها (٢) ، ونجد الغزالي في هذا متجاوبا الى ابعد حدود التجاوب مع الرأى الحديث الان القائل بأن دراسة علم النفس من اول مقتضيات اعداد المعلم •

هنا يجعل الغزالي الناحية النفسية عند المتعلم مهمة جدا واساسا بالغ الاهمية في عملية تربية الفرد وتنشئته ان يكن اثناء تعليمه او تهذيبه او ارشاده • فالالمام بهذه الناحية من ضروريات العمل والا كان ضياع الوقت وفوات الفرص عند المتعلم والمعلم على حد سواء •(٣)

خامسا • مبدأ وثاقة الترابط بين المعلم والمتعلم : يعتقد الغزالي ان التربية عملية تتطلب اتصال الشخص المعلم بالشخص المتعلم اتصالا وثيقا ، وان نجاح التربية يترتب الى حد بعيد على مدى العلاقات التى يجب ان تربطهما معا ، ان يكن في ناحية التعليم او نواح آخر ، اجتماعية او عاطفية ففي هذه يجد الغزالي علاقة الثقة والتفاهم والعطف والمودة مجدية نافعة (٤) • وفي هذا نجد نحن مقدار اتفاق الغزالي مع الاراء الحديثة في التربية ، اذ ان التربية الحديثة تعتبر هذه الناحية ضرورية واجبة لا غنى عنها في العملية التربوية وان اى اهمال فيها ، ينتقص من اغراض التربية واهدافها ومساعيها •

سادسا • مبادئ تربوية للغزالي في الثواب والعقاب : لم يفت الغزالي ان يتكلم عن الثواب والعقاب، وهو في كلامه عنهما سباقا الى رؤية الاراء التربوية السليمة وان الاتجاه الحديث اليوم في هذا المنحى متمشى تماما مع اعتدال الغزالي •

---

١ ــ منهاج المتعلم ، ع • س • ، ورقة ٨
٢ ــ المصدر نفسه •
٣ ــ المصدر نفسه •
٤ ــ المصدر نفسه •

ان الغزالي معتدل في استعمال الثواب والعقاب لخدمة الاغراض التربوية وهذه طريقة سليمة ، فهو يؤكد ضرورة عدم التمادى في عقاب الصبي وعدم اللجوء الى التشهير باغلاطه ، أو استعمال التأنيب عند وقوع اخطائه فهذه كلها مضرة ومهلكة ومعقدة للنفس ومكونه للمشاكل ومسببة للفشل . والافضل منها تكريم الصبي ومدحه واستحسان ما يأتي به ، ولم ينس الغزالي شيئا من تفاصيل النافع والضار عندما تكلم عن اثابة الصبي على ما يحسن فيه وعقابه فيما يخطئ به .(١)

سابعا . ضرورة اللعب : ان رأى الغزالي في ضرورة اللعب شبيه تماما برأى انصار التربية الحديثة فكلاهما على حد سواء يرى في اللعب انه مهم لنمو الجسم والعقل عند الصغير كما يريان ان الترويض اللازم لاصلاح حالة الجسم لا يكون عن غير طريق اللعب وان تقوية العضلات لا تحصل بدونه ، اضف الى هذا اعتقادهما في انه مجلبة للسرور والبهجة ، فنفس الصغير لا يسرها غير اللعب ولا يبهجها غير الاستراحة من متاعب الدروس وعناء العمل .(٢) (٣)

ثامنا . أهمية الفراغ : ان شغل اوقات فراغ التعليم من الامور المهمة في خدمة الاغراض التربوية عند الغزالي لقد اهتم بهذه الناحية اهتماما يكاد لا يصل الى حده اهتمام المربين اليوم ، فهو يعتبر الفراغ من الامور التى يتسبب عنها الانحراف ولهذا السبب يتوجب على المربي ان يعير هذه الناحية بالغ اهتمامه فيستغل هذه الاوقات بما فيه النفع والفائدة ، والهروب مما به الضرر والانحراف . والغزالي يذكر في مؤلفاته كيفية اشغال الفراغ والفوائد المتوخاة منه وكل ذلك نجده متمشيا مع الخطة التى رسمها للتربية والاهداف التى حددها لها .(٤)

تاسعا . التخلص من الخصال الدنيوية : ان المتمعن في مذهب الغزالي التربوى يجد النزعة الى التدين هي الغالبة عليه ، اذ هو دائب الطلب في توجيه الصبي نحو الروحانية والتقشف والبعد عن الحياة المادية (٥) ، وهو في هذا اميل الى التطرف منه الى التوسط ، على خلاف الرأى الحديث الذى لا يستحب التفاني في السعي وراء المادة والترف كما لا يطلب التمادى في المثالية .

---

١ ـ منهاج المتعلم ، ع . س . ، ورقة ٨ .
٢ ـ المصدر نفسه ، ورقة ٧٨ .
٣ ـ احياء ، ج ٣ ، ع . س . ، ص ٧١ .
٤ ـ منهاج المتعلم ، ع . س . ، ورقة ٧٨ .
٥ ـ المصدر نفسه ، ورقة ١٣ .

ان ميل الغزالي الشديد هذا ، نحو التخلص من الخصال الدنيوية والتمسك بالخصال التي تغلب عليها الناحية الروحانية، ناتج عن تلك النزعة الصوفية التي طغت على نواحي فكرة فهو عندما كتب في التربية كانت الصوفية له فلسفة واضحة ومحددة، وعليها اتت اغراضه واهدافه، وخطته كلها متمشية معها .

ذكرنا فيما تقدم المبادئ التربوية التي جعلها الغزالي اساسا لنظامه التربوى ونحن فيما يتقدم نذكر النواحي التربوية التي ألم الغزالي بها كما نشير في نفس الوقت الى النواحي التي اهملها وتركها ، مبتدئين اولا :ـ

في التربية الدينية : كان الغزالي اماما دينا متصوفا اهتم في تربية النشئ تربية دينية يهدف بها الى تنمية القلب بالمعرفة وتهذيب النفس بالعبادة . وهو في هذا اى في جعل الدين أهم نواحي التربية يقف مع اهم الفلاسفة المربين الذين وضعوا نظما تربوية مرسومة وفقا لفكرة معينة ومذهب فلسفي خاص .

لقد استضاء الغزالي المربي بضوء العقيدة الدينية واسترشد بالفلسفة الصوفية فهذه اذن حددت لنظامه التربوى اطاره ورسمت له خطاه ، ويتضح هذا من جعله التدين اول اهداف التربية واختياره العلوم الموصلة الى هذا الهدف، كما انه انتقى الطريقة المعينة على غرس الدين في القلب غرسا صحيحا اذ يقول في مواطن عديدة من مؤلفاته بوجوب البدء بها في سن مبكرة وان تكون اولا بالتلقين والتقليد ثم بالتفكر والاستدلال . ان غرس الايمان عنده هو من اول شروط التربية الدينية كما ان اللجوء الى الحفظ والاعتقاد والتصديق امور ضرورية في تثبيت هذا الايمان وتقويته .

في التربية الخلقية : ان التربية الصحيحة في اعتقاد الغزالي تفعل الكثير في سبيل تحلى الانسان بالخلق السوى اذ ان خصال الانسان بل تكوينه عموما انما هو ناتج عن التكييف والتعديل اللذين باستطاعة الاعمال التربوية ان تحدثهما . والمهم ان ايمان الغزالي بهذا كان قويا جدا وذكر في اكثر من مؤلف له ، انه لو كانت الاخلاق لا تقبل التكييف والتعديل لما كانت الوصايا والمواعظ او التأديبات .

اننا اذن نجد الاساس الذى تقوم عليه تربية الغزالي الخلقية هو الاصلاح والتكميل والتهذيب والتطهير وهذا ممكن في نظره بالنسبة لطبيعة الانسان ومن يقول خلاف هذا القول فهو منقد عنده ولا يصلح لان يؤخذ برأيه .

في التربية الاجتماعية ، الى جانب الاسس السليمة التي وضعها الغزالي للتربية الخلقية بالنسبة لاخلاق الفرد الشخصية نجده ايضا قد وضع اساسا للتربية الاجتماعية بين فيها طريقة التعامل بين الناس .

لقد اهتم الغزالي بصلات الناس بعضهم ببعض وشاء ان تكون تلك مبنية على المودة والمحبة والاحترام المتبادل ومن اجل هذا عين الواجبات التي ينبغي ان يراعيها الفرد في تعامله مع غيره .

وضع الغزالي في هذه الناحية الاجتماعية من نظامه التربوى ، تعاليم عديدة من شأنها ان توضح علاقات الفرد مع غيره من الناس فذكر مثلا علاقة التلميذ مع استاذه وعلاقة الاستاذ مع التلميذ ثم علاقة الولد مع الوالدين وعلاقتهما معه ايضا اشار الى العلاقات بين القرناء والمعارف والاصدقاء ، وكل من تلزم الحياة التعامل معهم فما ترك منها شيئا ولا اهمل فيها ناحية .(١)

في التربية المهنية : لم يظهر الغزالي تحمسا ملحوظا للتعليم المهنى ، كما انه لم يوضح فيما يختص بها رأيا ، لقد تكلم في اشارات هنا وهناك ما تفيد ضرورة لتعليم بعض العلوم التي تؤدى الى احتراف مهنة كمهنة الطب والفلك والحساب والصناعات التي منها الحياكة والفلاحة والسياسة لكن لم يكن في تعلمها محبذا او الى طلبها داعيا .

في التربية الفنية : يترك الغزالي العناية بتعليم العلوم الفنية ، فهو لم يطلب الاهتمام بفن واحد من الفنون ، بل انه رأى مضارها اكثر من منافعها مما اوجب الترك . واننا نجد هذا متفقا مع نزعته الصوفية وميله الى الروحانيات دون الماديات ، واهتمامه في تثقيف العقل والقلب دون العاطفة والاحساس ، ولهذا كان اميل الى العلوم الدينية والمعارف الآلهية منه الى العلوم الفنية والمنبهات الجمالية .

---

١ ــ احياء ، ج ١ ، ع . س . ، (في مواطن عديدة من المؤلف)

الباب الثالث

الفصل الرابع
في
العملية التربوية عند الغزالي

البحث الاول
تعريف العملية التربوية

ان مفهوم الغزالي للعملية التربوية هو ما يعنينا الآن لأنه قرر فيها منهجا وحدد لها برامج وسماها بالعلم ووسمها بالادب وجعل لها غاية وتبين لها ثمرة ونتيجة • وفي هذا المقام نذكر خلاصة آراء الغزالي حتى تكون ، لما سيأتي بعد ، معالم طريق لا غير •

العملية التربوية كما فهمها الغزالي منهجا وبرامج •

انما هي معرفة الله المطلوبة • وهي الهدف الاقصى عند الغزالي لمنهج تربوى وضع أصوله وفروعه في الكثير من مؤلفاته • انه ليتبين لقارئ الغزالي ، في كل ما يقرأ له ، ان هذه المعرفة هي الاساس ، فمن عرف جميع الاشياء ولم يعرف الله تعالى فهو لا يستحق عند الغزالي ان يكون حكيما لانه لم يعرف اجل الاشياء وافضلها ، والحكمة عنده اجل العلوم " وجلالة العلم بقدر جلالة المعلوم ولا اجل من الله "[1] • وقد سبقت الاشارة الى ان من خصائص الانسان معرفة الله لانه زود بالعقل الذى يشتهي معرفة مبدعة •

ويرى الغزالي ان الناس في هذه الشهوة الى معرفة الخالق اصناف :

اولا ، العارفون : وهم الذين يؤثرون جنة المعارف ورياضها على الجنة التى فيها قضاء الشهوات المحسوسة فهي خلقت لهم ، وكان التذاذهم بها بقدر شهوتهم •

ثانيا ، الممنوعون : وهؤلاء يعكفون على لذة الجاه والرئاسة •

ثالثا ، الصبيان : وهذه الفئة الثالثة والاخيرة تشتهي اللعب • ويعجب العارفون من الممنوعين في عكوفهم على لذة الجاه والرئاسة كما يعجب الممنوعون من الصبيان في عكوفهم على اللعب •

---

١ ــ الغزالي ، المقصد الاسنى ، ع • س ، ص ٨٦ •

وقد أوضح الغزالي هذا الهدف في الحث على بلوغه والارشاد اليه فهو يقول لمن يهدى ، "ان كانت نيتك وقصدك بينك وبين الله تعالى من طلب العلم الهداية دون مجرد الرواية فأبشر فأن الملائكة تبسط لك اجنحتها اذا مشيت "(١). وكذلك نراه يخاطبه بقوله: "اعلم ايها الحريص المقبل على اقتباس العلم المظهر في نفسه صدق الرغبة وفرط التعطش اليه انك ان كنت تقصد بطلب العلم المنافسة والمباهاة والتقدم على الاقران واستمالة وجوه الناس اليك وجمع حطام الدنيا فانت ساع في هدم دينك وهلك نفسك وبيع آخرتك بدنياك فصفقتك خاسرة وتجارتك بايرة ومعلمك معين لك على عصيانك وشريك لك في خسرانك "(٢).

وهكذا يتضح ان الهدف الذى جعله الغزالي منهجا لنظامه التربوى هو معرفة الله فقرر على انها هي بالذات كل المطلوب من العلم كما انه اعتقد في ان خاصية الانسان تمكنه من هذه المعرفة وان شهوة هذه المعرفة تحتم نيلها والتلذذ بها . ثم يصل الى حد ابعد فيقرر عنده ، اى عند هذا الحد ، منزلة من بلغ بهم علمهم معرفة الله .

هذا من حيث المنهج اما من حيث البرامج فقد تكلم فيها على انها بداية ونهاية وانها ظاهر وباطن ، تحدث عنها على انها علاج واطال القول في انها حاجة ، فالغزالي يقول: "انما الهداية التى هي ثمرة العلم لها بدا ية ونهاية وظاهر وباطن ولا وصول الى نهايتها الا بعد احكام بدايتها ولا عثور على باطنها الا بعد الوقوف على ظاهرها ."(٣) ويرى في جميعها علاجا للنفس فكما ان البدن في الابتداء لا يخلق كاملا وانما يكمل بالنشوء والتربية بالغذاء فكذلك النفس تخلق ناقصة وانما تكمل بالعلم فان كانت صحيحة كان لا بد من العلم للمحافظة على صحتها ، وان كانت ناقصة كان لا بد منه لاكمالها(٤) وقد اشرنا في بحث سابق الى وجودها ناقصة ووجوب تكميلها بالتربية لان مثلها كمثل النواة التى ليست بتفاح ولا بنخل وانما تصير نخلة بالتربية لانها قابلة بالقوة لان تصير كذلك .(٥)

---

١ ـ الغزالي ، بداية الهداية ، مصر : مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ص ٢ .
٢ ـ المصدر نفسه .
٣ ـ المصدر نفسه .
٤ ـ الغزالي ، المقصد الاسى ، ع . س ، ص ٧٨ .
٥ ـ المصدر نفسه ، ص ٥٤ .

تسمية التربية بالعلم ووسمها بالادب : من قول الغزالي ، "فاذا كان العلم خير من الجهل والجهل من لوازم الجسم والعلم من صفات النفس والنفس اشرف من الجسم وللعلم اقسام كثيرة وللعالم في طلب العلم طرق عديدة والنفس قابلة لجميع العلوم من غير ممانعة ولا مزاحمة وملال وزوال"(١) كما يقول ايضا ، "ان العلم هو الحياة الاشرف والجهل بالنسبة له الموت الاكبر والطبع انما يرتاح اذا اثني عليه بغزارة العلم لانه يستشعر عند سماع الثناء كمال ذاته وكمال علمه فيعجب بنفسه ويلتذ به "(٢)

ويستفاد من هذا القول ان العملية التربوية عنده تسمى علما بسبب قبول النفوس الانسانية للمعرفة وقدرتها على تحصيلها وذلك بفطرتها الاصلية فالعلوم في النفوس بالقوة كالبذرة في الارض والنخل في النواة (٣) والتعلم طلب خروج ذلك الشيء من القوة الى الفعل والتعليم هو اخراجه من القوة الى الفعل وهكذا نرى دوام اشتغال القلب بالعلم فهو "دائما يطلبه ولا يريد الا العلم ولا يرضى الا به ، فالقلب يتعلم طوال عمره ويتحلى بالعلم جميع ايامه "(٤) .

وسبقت الاشارة الى ان النفوس الانسانية في علم الغزالي كلها قابلة لجميع العلوم وانما لسبب طارئ وعارض يطرأ عليها من خارج يفوت نفسا من النفوس حظها منه ولذلك كان اشتغال النفس بالتعلم هو "ازالة المرض العارض عن جوهر النفس لتعود الى ما علمت في أول الفطرة وعرفت في بدء الطهارة "(٥)

ولا نذكر في هذا الباب انواع العلوم بغية افراد باب لها بل نكتفي بالاشارة الى كثرة اصناف العلوم وان النافع منها هو مايورث كمال النفس الدائم ، والغزالي يبتغي من النظام الذى اشاد صرحه تبليغ النفس كمالها لتسعد به .(٦)

وفي المنهاج الذى وصفه للعابدين يطلب الغزالي تقديم العلم لان الطاعة والعبادة لا تسلم الا به (٧) وهو اصل الدين (٨) وقد حث على الاشتغال بالعلم ونبه الى ان عدم الاشتغال به هو اهمال للعلوم التي سماها الله في كتابه نورا وحكمة وهدى وجعلها فريضة

---

١ ـ الغزالي ، الجواهر الغوالي ، ع . س . ، ص ٢٢ .
٢ ـ احياء ، ج ٤ ، ع . س . ، ص ٢٢ .
٣ ـ الغزالي ، ميزان العمل ، ع . س . ، ص ٢٩٩ .
٤ ـ الغزالي ، الجواهر الغوالي ، ع . س . ، ص ٢٧ .
٥ ـ المصدر نفسه ، ص ٣٩ .
٦ ـ الغزالي ، ميزان العمل ، ع . س . ، ص ٥٣ .
٧ ـ منهاج العابدين ، المطبعة الحسينية المصرية ، ص ٦ .
٨ ـ الغزالي ، الاربعين في اصول الدين ، مصر : المطبعة العربية ، الطبعة الثانية ، ١٣٤٤هـ . ص ٩٩ .

على كل مسلم [١] فلاجل العلم خلقت السموات والارض ولاجله كان تعليم المعلمين ووعظ الواعظين ولاجل العلم انزلت الكتب وارسلت الرسل .

وهكذا نتبين من تحديد الغزالي للعلم وتسمية التربية به فضيلة العلم ويتضح لنا أنه مطلوب لذاته وقد قال فيه انه القطب وعليه المدار فلا نجاة للسالك الا في الاشتغال به .

اذن في نظر الغزالي انما العملية التربوية هي تعلم واستفادة من العلوم اكثر مما هي اى شيء ثان فقد قدم العلم المطلوب لذاته على كل ما عداه وقال انه اصل الاصول وتمثله بالشجرة وكل شيء بالنسبة له يكون الثمرة والشرف للشجرة اذ هي الاصل . وقال في العلم ايضا انه مقصود الانسان وخاصيته التي لاجلها خلق [٢] وبه يتميز عن سائر البهائم فالانسان بما هو شريف لاجله وليس ذلك بقوة شخصية .[٣]

واذا كان الغزالي قد سمي العملية التربوية بالعلم فقد وسمها بالادب. والادب انما يعني تأديب الظاهر والباطن " ومن الزم نفسه آداب السنه نور الله قلبه بنور المعرفة ولا مقام اشرف من التأدب بأدب النبي قولا وفعلا "[٤] وان كانت تتم بالعلم معرفة الله فالكرامة من الله تنال بالادب [٥].

وهكذا دعى الى التأديب بآداب الصالحين وبآداب الاولياء فمن لم يقم بآداب اهل البداية عنده لا تستقيم له مقامات النهاية والاداب المطلوبة هنا في تهذيب النفوس وتأديب الجوارح ، والتفقه في الدين فقد "ادبنا الله تعالى بالقرآن وادبنا بنية "[٦] وهكذا يكون لزوم العالم للعلم وللعمل به هو ادبه والتأديب للعالم هو ترويض غيره فحاله اذا حال المعلم والادب هو العلم والتأديب انما هو التعلم .

---

١ ـ منهاج العابدين ، ع . س . ، ص ٧ .
٢ ـ احياء ، ج ٣ ، ع . س . ، ص ٨ .
٣ ـ احياء ، ج ١ ، ع . س . ، ص ١٤ .
٤ ـ الغزالي ، معراج السالكين ، ع . س . ، ص ١٣٤ .
٥ ـ المصدر نفسه .
٦ ـ الغزالي الجواهر الغوالي ، ع . س . ، ص ٤١ .

غاية التربية تبديل الصفات .

يرى الغزالي ان تبديل الصفات ممكن ، ويصف الطريق بصناعة الكيمياء اى صنعة التحويل والانبياء والاولياء يعلمون الناس كيف يجعلون القلب في كور المجاهدة وكيف يطهرونه من الصفات المذمومة وكيف يؤدونه لطرق الصفاء .[١] وعن طريق هذه الصنعة ،وفي بعض الاحوال يسميها رياضة القلب ، تصبح الصفة حالة [٢] ، حالة القلب لكثرة اعتياده ولشدة ترويضه[٣] فلا تعود الصفة هي مجرد الفعل ولا القوة وليست هي المعرفة بل الهيئة التي بها تستعد النفس لان تصدر عنها الافعال بسهولة من غير روية [٤] فان من تكلف فعل الشيء لا يتصف به[٥].

ومن هنا نتبين ما للتربية من اهمية في نظر الغزالي والمقدار الذى يعتمد فيه عليها ،ففي قوله ان الصفة ليست عبارة عن الفعل ،اشارة الى تأثير التربية في تكيف الافعال الصادرة عن الانسان واما مقام التربية في كون الصفة ليست عبارة عن القوة واضح تماما عندما يشير الى ان نسبة القوة الى الضدين واحدة فكل انسان كما يرى الغزالي خلق بالفطرة قادرا على كل من الضدين انما يصل الى احدهما بالتربية ، ولقوله انها ليست معرفة ،اذ ان المعرفة عنده تتعلق بالجميل والقبيح جميعا على وجه واحد ، ينبغي اذن ان تكون الصفة حالة ، وصورة للنفس الباطنة التي صارت لها بالتربية ، وتصدر عنها الاعمال بغير فكر وروية وتعب فتصدر منها ،اى من النفس والانسان في غفلة كالصانع الحاذق في الخياطة والكتابة [٦] وليس ادل على هذا في تعاليم الغزالي من قوله ان العلم شيء ووجود العلوم شيء آخر اذ ليس كل من عرف الورع ودقائقه كان تقيا فهذه العلوم تستدعي شرائط التربية لتنقش في نفوس الطالبين .[٧]

وهكذا يصل المربي الى الصفات التى هي هيئة للنفس بالتربية التي تعني المجاهدة والرياضة .

ومجمل القول ان العلم في القلب يحتم تغير حال القلب واذا تغير حاله تغيرت اعمال الجوارح فالعمل تابع للحال والحال تابع العلم .

---

١ ـ الغزالي ، الجواهر الغوالي ، ع . س . ، ص ٦
٢ ـ احياء ، ج ٣ ،ع . س . ، ص ٧٥ .
٣ ـ الغزالي ، ميزان العمل ، ع . س . ، ص ٤٤ .
٤ ـ احياء ، ج ٣ ، ع . س . ، ٥٢ .
٥ ـ الغزالي ، معراج السالكين ، ع . س . ، ص ٢٣٥ .
٦ ـ الغزالي ، ميزان العمل ، ع . س . ، ص ٧٦ .
٧ ـ الغزالي ، الجواهر الغوالي ، ع . س .،ص ٣٢ .

ثمرة التربية هي السعادة الا خروجه .

اشرنا الى ان القلب مفارق لسائر اجزاء البدن يدرك المعاني التي ليست متخيلة ولا محسوسة بما يسميها عقلا وهذه الصفة في القلب مقتضى طبعها المعرفة والعلم وهما لذتها [١] ولكن ما هي الغاية من هذه المعرفة وما هو الغرض من هذا العلم ؟

غاية التربية ، فيما يرى الغزالي ، هي السعادة الاخروية والاشارة الى هذا انما هي واردة في مواضع كثيرة من مؤلفاته ففي ميزان العمل يقول ان السعادة هذه لا تنال الا بالعلم والعمل وفي مقام آخر يقول : " وانكشف لارباب القلوب ببصيرة الايمان وانوار القرآن ان لا وصول الى السعادة الا بالعلم والعبادة فالناس كلهم هلكى الا العالمون "[٢] وقوله : " فالسعادة وراء علم المكاشفة وعلم المكاشفة وراء علم المعاملة التي هي سلوك طريق الآخرة " [٣] تقرير للنتيجة المرجوة من نظامه التربوى .

والي جانب جعل الغزالي السعادة الاخروية ثمرة ومنتجة للتربية نراه يدأب في الحث على السعي اليها والترغيب في نيلها ، فهو يخاطب المريد بقوله : "اياك ان ترغب الا في العلم بالطريق الموصل الى العلوم المفضية الى السعادة فهذه العلوم بالنسبة الى المقصد في نظره أهم من سواها وهو يفضلها عليها ، [٤] وهذا يدل على ان الغزالي ليست له غاية دنيوية ولا يتوخى من التربية او العلوم اى نفع دنيوى . فللعلوم نسبة فيما يرى وعلى الطالب ان يعرف هذه النسبة بينها ، لوجوب ايثار المهم على غيره والمهم المشار اليه هنا انما يعني ما مآله السعادة التي هي التخلق باخلاق الله والتحلى بمعاني صفاته حيث يصير العبد قريبا من الله ويحسن بنا في هذا المقام ان نذكر توقعه عدم التصديق واشمئزاز القلب عن قبول هذا ، ولذلك يسارع الى القول بأن طلب القرب من الله بالصفات ليس الامر الغامض اذ ان كمال الانسان وسعادته هي التخلق بأخلاق الله [٥] وهو مستعد لها فهي فضيلته التي فاق بها اصناف الخلق ، [٦] ولها خلق قلبه وبها لذته، فمقصود

---

١ ـ احياء ، ج ٤ ، ع . س . ، ص ٢٩٩ .
٢ ـ المصدر نفسه ، ص ٣٥١ .
٣ ـ احياء ، ج ١ ، ع . س . ، ص ٦ .
٤ ـ المصدر نفسه ، ص ٥٩ .
٥ ـ الغزالي ، المقصد الاسنى ، ع . س . ، ص ٢٤ .
٦ ـ الغزالي ، احياء ، ج ٣ ، ع . س . ، ص ٢٢ .

المريد اذن اصلاح هذا القلب ليتم له التخلق ثم التقرب من الله • والسؤال الذى يتبادر الى الذهن هو ، من يفوز بهذه السعادة ؟ اما الجواب عند الغزالي لا يتعدى القول بأن السعادة والنجاة حاصلة لكل سالك طريق • اما الفوز بالسعادة فلا يناله الا العارفون بالله وهم المقربون واما الممنوعون دون ذروة الكمال فلهم النجاة والسلامة .(١)

وان نسأل من هو المريد واى الناس طالب اللقاء فيجيب انما هو المؤمن بالله واليوم الاخر ايمانا صادقا مخلصا .(٢)

وهكذا يكون الوصول الى غاية العلم هو النتيجة لنظام الغزالي التربوى ، والمؤدى اليه هو سلوك الطريق والدافع الى السلوك هو الارادة والباعث الايمان • ومسبب الايمان والهادى اليه انما هو المربي ، او الهادى الى الطريق اذ غفلة الخلق تستدعي تنبيهه وهدايته الى نهج الطريق فلا تبقى ، كما يقول الغزالي طريق الله خالية من السالكين •

---

١ ــ احياء ، ج ١ ، ع • س • ، ص ٥٩ •

٢ ــ احياء ، ج ٣ ، ع • س • ، ص ٧٣ •

البحث الثاني
تربية الولد

يجعل الغزالي للتربية قيمة اساسية فهي لديه الوسيلة لاسعاد الولد في الدنيا والاخرة والطريقة لتقش العلوم الخيرة في قلب الصبي الطاهر الساذج . فهو يقول : "اعلم ان الطريق في رياضة الصبيان من اهم الامور واوكدها والصبي امانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية عن كل نقش وصورة وهو قابل لكل ما نقش وقابل الى كل ما يمال به اليه فان عود الخير وعلمه نشأ وسعد في الدنيا والاخرة وشاركه في ثوابه ابواه وكل معلم له ومؤدب ، وان عود الشر واهمل اهمال البهائم شقي وهلك وكان الوزر في رقبة القيم عليه والوالي له ". (١)

وقد سمى الغزالي تربية الاطفال هنا رياضة الصبيان وجعلها من اهم الامور وعدها مطلوبة من الوالدين وكل معلم ومؤدب . كما قرر قبول الاطفال لهذه التربية فقد خلقت لهم جواهر طاهرة ساذجة خالية من كل نقش وصورة انما خاصيتها قبول النقش والصورة . وقد حدد الغزالي الصور المقبولة فكانت بمثابة المنهج الذى يتحتم على الوالدين والمعلم والمؤدب الاسترشاد به والعمل في اطاره بغية الوصول بالولد حتى يكون سعيدا مثابا لا هالكا معاقبا ولا مندوحة من التكرار هنا فنقول انما المطلوبان هما الدنيا والاخرة وقد فضل الثاني على الاول لكماله وبقائه .

الوزر في رقبة الوالدين والمرضع والمعلم والمؤدب والقرين .

يقول الغزالي على الولي والقيم ان يتعهدا الصبي بعنايتهما ويسهرا على تأديبه فهما بذلك يصونانه عن نار الاخوة وصيانته عنها اولى ، فالصبي عند الوالدين امانة فان عوداه الخير وعلماه اياه نشأ عليه وسعد في الدنيا والاخرة وان عوداه الشر واهملاه اهمال البهائم شقي وهلك وكان الوزر في رقبة الوالدين . ونفس الشيء يطلب من المرضع وكل معلم له ومؤدب حتى يثاب الصبي ويشاركه جميعهم بثوابه فالخير اذن يكتسب التربية والشر يكتسب بالتربية وليس للانسان بفطرته ميل خاص لا الى الشر ولا الى الخير وانما يسعد ويشقى بما يقدم اليه ابواه ومعلموه ويؤيد هذا قوله ، "يولد كل مولود معتدلا صحيح الفطرة انما ابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه" (٢) (٣)

---

١ ـ احياء ، ج ٣ ، ع . س . ، ص ٧٠ .
٢ ـ المصدر نفسه ، ص ٥٦ .
٣ ـ بيان الطريق في رياضة الصبيان ، ع . س .

اى بالاعتياد والتعليم والتربية تكمل الفطرة ، كما لا يخفى تأثرها بالقرناء فللقرين تأثير على فطرة الصبي والنقش عليها ولذلك يرى الغزالي للمعاشرة تأثيرا بالغا فيجب لذلك حفظه من قرناء السوء كما يفترض ان يتعهد الوالدان في حضانته وارضاعه الى امرأة صالحة متدينة تأكل الحلال .

الملكات التي يتيسر على الولد بسببها التأدب كما يسهل بها على الوالد التأديب .

نرى هنا شدة اعتماد المربي على حياء الولد ، فهو عندما يرى فيه مخايل التمييز ينبغي ان يحسن مراقبته وان لا يهمله [1] [2] فيتطلع الى بوادر الحياء فيه ليستدل من ذلك على اشراق نور العقل عليه ويستبشر من اعتدال خلقة وصفاء قلبه فهذا يبشر بكمال العقل عند البلوغ .

وهكذا من توفق من الاولاد بملكة الحياء يتيسر عليه التأدب فلسبب حيائه واحتشامه يترك الولد بعض الافعال اذ يرى قبحها ويصبح من السهل على الوالد ان يربي ولده فباستطاعته ان يريه قبح الاشياء ومخالفة بعضها لبعض ، وهكذا يكون الوالد قد استعان على تأديب الولد بحيائه او تمييزه .

ذكر الاسباب في تعويده الخشونة .

ومهما يكن من نقاوة الفطرة وطهارتها وقبولها للخير فهي في نفس الوقت تقبل غيره . ويشير الغزالي الى غلبة الصفة غير المقبولة على الصفة المقبولة وذلك لترك العلم المرغوب فيه والتأثر في العلم غير المرغوب فيه [3] فهو يذكر ان اول ما يغلب على الولد من الصفات شره الطعام فينبغي ان يؤدب فيه [4] كما يغلب عليه قبول التخنث اى الرغبة في الملون من الثياب والفاخر منها والميل الى التنعم والرفاهية وهذا مما يستدعي عدم اهمال الولد بل حفظه وذلك بحسن التأدب وتعويده الخشونة منذ اول الامر ، فهي اوائل الامور التي ينبغي ان ترعى حتى يتم للقلب فيما بعد قبول الحق وليكن للعلم عند البلوغ وقعا مؤثرا ناجعا ويثبت في قلبه كما يثبت النقش في الحجر ، ونحن اشرنا في مجال سابق الى اهمية تعويد الصبي خشونة العيش والابتعاد به عن التنعم .

---

١ ـ احياء ، ج ٣ ، ع . س . ، ص ٧٠ .
٢ ـ بيان الطريق في رياضة الصبيان ، ع . س .
٣ ـ احياء ، ج ٣ ، ع . س . ، ص ٧٠ .
٤ ـ المصدر نفسه ، ص ٧٠ .

طريق الاستعداد التي يتحتم على الولد سلوكها ٠

يستدل مما ذكرت سابقا ان الغاية القصوى من تربية الولد هي اعداده لقبول الحق ثم انتقاش القلب بالعلوم عند البلوغ ٠ اذن فالعملية عملية اعداد وتحضير ، وتهيئة وتبصير وقد بين الغزالي الكثير من اساليب الاعداد وذكر العديد من طرق الاستعداد فعلى العربي ، وهو هنا الوالد او المعلم ان لا يعوده التنعم وان لا يحبب اليه الزينة واسباب الرفاهية بل يحبب اليه من الثياب غير الملون ٠ ثم يقبح اليه حب الذهب والفضة والطمع فيها وانها اضر آفة على الصبيان ويخوفه من السرقة واكل الحرام ومن الخيانة والكذب والفحش وكل ما يغلب على الصبيان مؤكدا على طلب الاخرة وتقديمها على الدنيا في تربيته ٠

قوالب سلوكية يتم في اطارها تكييف الفطرة ٠

يتطلب من المربي ، الوالد هنا ، ان يكون "حافظا هيبة الكلام" مع ولده فيقضي ذلك ان لا يوبخه الا احيانا وهذا يحتم تخويف الام له بالاب فتكون هي الالة للزجر من القبائح والاداة لتنفيذ رغبة الوالد ٠ كما يتحتم على الولد تقييد كل حركاته وسكناته بقوالب سلوكية وقيود تكييف الفطرة بالكيفية التى يرغبها الوالد ان فنذكر منعه عن النوم نهارا كي لا يصبح كسولا خاملا ، بدينا [١] وتحذيره من البصق في مجلسه والامتخاظ والتثاؤب بحضرة غيره كما يطلب اليه ان لا يستدبر سواه ولا يجلس ورجل له فوق رجل ولا يضع كفه تحت ذقنه ، ولا يسند رأسه بساعده كما يلزم منعه كثرة الكلام اذ انه يدل على الوقاحة وان لا يتكلم الا مجيبا وبقدر السؤال [٢] ٠ كما يجب عليه ان يحسن الاستماع لغيره ممن هو اكبر منه سنا وان يقوم له ويفسح له المكان ويجلس بين يديه ٠

كما يطلب من الولد ان يصبر اذا ضربه المعلم ويعلم ان الصبر للشجعان والرجال وان كثرة الصراخ للنساء وللعبيد ٠ كما ينبغي ان يطيع هذا المعلم طاعة تامة كاملة ٠

وعلى الولد ان يسلك سلوك المتدينين متى بلغ سن التميز فيؤمر بالصيام والصلاة ويعلم كل ما يحتاج اليه من تعاليم الشرع ٠

---

١ ــ احياء ، ج ٣ ، ع ٠ س ٠ ، ص ٧٠ ٠

٢ ــ المصدر نفسه ، ص ٧١ ٠

يؤكد الغزالي وجوب منع الولد من كل ما يفعله خفية لاعتقاده بان الولد لا يخفي الا ما يعتقد انه قبيح فمنعه اذا يقيه اعتياد فعل هذا القبيح كما يلزم منعه من الافتخار على اقرانه بما يملكه او بأى شيء له بل يعود التواضع ويعلم العطاء دون الاخذ لان في الاول الرفعة وفي الثاني الدناءة اذا كان غنيا والذلة اذا كان فقيرا .

هذه هي جملة القيود المفروضة على الولد . والذى نلاحظه هنا تعددها لتتناول كل عمل يقوم به وهي في جملتها شديدة ، ضيقة ، حددت الولد باوثق نطاق .

برنامج تعليم الولد .

ان البرنامج الذى اعده الغزالي ضئيل فهو لا يعدو البرامج التي كانت موضوعة في وقته للمدارس الاولية المعروفة آنذاك بالكتاتيب ، وكان يشمل تعلم القرآن واحاديث الاخبار وحكايات الابرار واحوالهم بغية غرس محبة الصالحين في القلب وما سوى هذا فهو مهمل كاللغة والادب والشعر وكذلك الرياضة فهو وان يكن قد لمح الى ان اللعب الجميل يريحه [1] . فلم يجعل لها في البرنامج اي مكان .

تربية البنات .

الغزالي متأثر بعصره في هذه المسألة الى ابعد حدود التأثر فتربية البنات تكاد تكون متروكة عنده ، لولا بعض الاشارات ، الى وجوب تعليم الرجل لها وهذا العلم الواجب على الزوج لامرأته لا يزيد عن معرفة بعض امور الشرع مثل فرائض الصلاة والصيام .

والسؤال هنا لماذا يترك الغزالي الفتاة دون حظ من العلم اهو مجرد مجاراة ومماشاة لمسلك اهل العصر او لتعذر سلوك الطريق عليها وقلة حظها بالنجاة ؟.

فان كانت الاولى نسأل ما الذى منع الغزالي المربي من البدء في سلوك الطريق ؟

وان كانت الثانية فما هي ياترى العوائق وما هي الاسباب المانعة ؟

---

١ ـ احياء ، ج ٣ ، ع.س. ، ص ٧١ .

البحـــــث الثالـــث

تربيـــة المريـــد

نتناول التسمية فنذكر لماذا دعا الغزالي طالب العلم هذا "المريد". نحن نعـــرف "التلميذ" ونسمي طالب العلم "الطالب" اما الغزالي فقد اطلق عليه اسم المريد وذلك لشيوع تلك التسمية والاصطلاح على استعمالها في ذلك العصر، ثم لملائمتها لصنف المتعلم، وعلمه ومراده من التعلم. فالمريد هو نفس الطالب وعين العابد، وذات العارف. بكلام آخر هو سالك الطريق الذى يبتغي منها الوصول الى منازل القربات فيقول الغزالي "لا تصل الى منازل القربات حتى تقطع ست عقبات تشرف من العقبة الاولى على ينابيع الحكمة القلبية وتطلع من العقبة الثانية على اسرار العلوم اللدنية، وتلوح لك من العقبة الثالثة اعلام المناجاة الملكوتية وتلمع لك في العقبة الرابعة انوار المنازلات القريبة وتطلع لك في الخامسة اثمار المشاهدات الحبية وتهبط من العقبة السادسة على رياض الحضرة القدسية فهنالك تغيب مما تشاهد من اللطائف الانسية عن الكثائف الحسية فاذا ارادك بخصوصيته الاصطفائية سقاك بكأس محبته شربة فتزداد بذلك الشرب ظمأ وبالذوق شوقا وبالقرب طلبا وبالسكون قلقا فاذا تمكن منك هذا السكر اد هشك فاذا اد هشك خيرك فانت ها هنا مريد فاذا ادام لك تحيرك اخذك منك وسلبك عنك فتبقى مسلوبا فانت حينئذ مراد. فيكون هو متوليك فاذا نطقت فباذكاره وان نظرت فبانواره وان تحركت فباقتداره."[1]

ونحن نرى من آثار الغزالي المربي مبلغ الاهتمام بالمريد فقد حدد له صنفه وعين له منزلته، وقرر فيه مؤهلاته، كما بين له العقبات واوضح له معالم الطريق. واذ نبدأ بتفسير المقصـــود بقولنا حدد الغزالي للمريد صنفه وعين له منزلته، نقول انه نظر في الناس فوجد هم ثلاثة، عالـــم رباني ومتعلم على سبيل النجاة وغيرهما رعاع لم يستضيئوا بنور العلم [2] والمريد عنده المتطلع الى المنزلة الاولى، التي يصرف عمره في السعي اليها.

ثم ننظر في المؤهلات عند المريد فنجد اولاها الذكاء في النفس، فالشاب اذا نشأ في طلب العلم فهو ذكي النفس تنبه بعد الارتياض بانواع العلوم الى العلم النافع منها [3] والثانية غلبت نور العقل على اوصاف الحس ليحصل من العلوم ما للقوة البشرية ادراكه فيؤثر بعد فهـــم

---

١ ــ الغزالي، معراج السالكين، ع. س.، ص ١٣١.
٢ ــ احياء، ج ١، ع. س.، ص ٧٧.
٣ ــ الغزالي، ميزان العمل، ع. س.، ص ٥١.

العلم العزلة والاعراض عن الدنيا والتجرد لله .

فبالمؤهلات هذه ، اذن ، تتم للمريد الهداية التي هي في اعتقاد الغزالي مبدأ الخيرات وينال الرشد ، فتقوى العناية الالهية فيه التوجه الى المقاصد ، كما يلقي التسديد حيث يقوم الله ارادته وحركاته نحو الغرض ثم يحصل له التأييد وذلك هو تقويته بالبصيرة من عند الله [١] .

والاستعداد ان يكون بصفات مطلوبة فمن له صدق الرغبة ، وخلوص النية ، وفرط التعطش الى اقتباس العلم [٢] ثم ميل القلب الى بداية الهداية وقبول النفس لها فهو مستعد للتطلع الى النهايات والتغلغل في بحار العلوم .

العقبات .

نتناول قبل الخوض في تفاصيل المنهج والبرامج الموضوع للمريد ، أمر العقبات التي هي في الطريق ، فنذكر انواعها ثم طرق ازالتها وذلك لان الغرض من العلم معرفة هذه العقبات والغاية من التربية هي ازالتها . وهذا امر مهم سبق ان اشرنا اليه بالاستشهاد بقول الغزالي حيث قال في كتاب روضة الطالبين وعمدة السالكين بعدم استطاعة المريد الوصول الى المنازل ما لم يقطع العقبات الست التالية : ـ

" الاولى فطم الجوارح عن المخالفات الشرعية .

الثانية فطم النفس عن المألوفات العادية .

الثالثة فطم القلب عن الرعونات البشرية .

الرابعة فطم السر عن الكدورات الطبيعية .

الخامسة فطم الروح عن البخارات الحسية .

السادسة فطم العقل عن الخيالات الوهمية . " [٣]

وتقابلها في مواطن اخرى مؤلفات الغزالي عقبة العلم والمعرفة وتزول عندما يعرف المريد ان له ربا كلفه وامره ونهاه وذلك بان بعث اليه رسله . [٤]

---

١ ـ الغزالي ، ميزان العمل ، ع . س . ، ص ١١٣

٢ ـ الغزالي ، بداية الهداية ، ع . س . ، ص ٢

٣ ـ الغزالي ، معراج السالكين ، ع . س . ، ص ١٣١

٤ ـ الغزالي ، منهاج العابدين ، ع . س . ، ص ٣

ثم بعد العقبات يذكر الغزالي العوائق التي تعترض المريد في سعيه وهي تختلف عن العقبات من حيث انها تأتي بعدها وهذه العوائق اربعة هي الدنيا، الخلق ، الشيطان، النفس ويلزمه التجرد من الاولى والتفرد عن الخلق ومحاربة الشيطان وقهر النفس .

الا ان الامر لا ينتهي للمريد بازالة العقبات ولا بالانصراف عن العوائق بل تأتي العوارض في الطريق ويذكر الغزالي انها الرزق ، الاخطار ، الشدائد وانواع القضاء من الله وعلى المريد تركها بالتوكل والتفويض والصبر والرضا .(١)

وهنا يعتقد المريد ان الامر قد تم له وزال كل شيء من طريقه ولكن سرعان ما تعترض سبيله آفتان الرياء والعجب فهو يرائي بالطاعة وعندما يمتنع عن ذلك ويلوم نفسه يعجب بنفسه وهذه عند الغزالي مشاكل يحلها المريد بالاخلاص وذكر المنة ، والشكر لله .(٢)

فالواضح من هذا كله ان عقبة العلم هي اهم العقبات ، فعلى المريد طلب العلم اذ هو القطب وعليه المدار وان الساعي الى الله هو القلب وليس البدن فالاعتناء بالعلوم المختصة به هو المطلوب ثم نرى ان الدنيا هي كل العوائق الباقية فالعمل للتجرد عنها والزهد فيها مدعو اليه.

فلننظر في العلم المطلوب والعمل اللازم ففيهما لباب المنهج وهيئة البرنامج .

مصدر العلم .

يرد ذكر مصادر عديدة لعلم المريد في مؤلفات الغزالي يجوز حصرها في ثلاث هيآت ، مصدر يصح فيه التقليد وثاني يلزم فيه التصديق وثالث يكون بالاستعداد له .

فعلماء الامة هم ادلاء الطريق ومنهم تكون استفادة العلم بالله ، ومنهم يتعلم الفرائض الشرعية (٣) كما ان الموقنين هم مصدر علم فبمجالستهم وبالمواظبة على الاقتداء بهم يتعلم المريد اليقين .(٤) ثم هنالك طائفة علماء الاخرة وهؤلاء يلزم الغزالي المريد الاقتداء بهم ليأخذ العلم عنهم . ثم في التصديق والاعتقاد بكلمتي الشهادة وكتاب الله وسنة الرسول وعلم التفسير وسائلا

---

١ ـ الغزالي ، منهاج العابدين ، ع . س . ، ص ٤ .
٢ ـ المصدر نفسه .
٣ ـ المصدر نفسه ، ص ع . س . ، ص ٣ .
٤ ـ احياء ، ج ١ ، ع . س . ، ص ٧٨ .

علوم القرآن للمريد علما واجبا [١] فالاقتصار على التصديق والاعتقاد دون البحث فيها اسلم لان البحث في العلم يكون حجابا ومانعا من الوصول .[٢]

والمصدر الثالث ، المصدر الذى ينهل المريد منه بالاستعداد له رؤية حكمة الله في عجائب مخلوقاته ، فالنفس اذا كملت وصفت ومال نظرها عن شهوات الدنيا واقبلت على التأمل في مبدعها واعتمدت على افادته في عجائبها نالت من العلم حظا كبيرا .

حاجة المريد الى استاذ .

ان هذه المصادر كلها لا تغنيه عن شيخ او استاذ ، فتبقى حاجته اليه ملحة فهو الذى يهديه سواء السبيل ويسهل عليه التحصيل .[٣] فليتمسك به وينقاد له ، كما يجب على المريد الاعتماد عليه فيطلعه على ما يجد في قلبه من فترة او نشاط او التفات الى علقة او صدق في ارادة . وهذا الشيخ هو الذى ينظر في تلميذه ويتأمل ذكاءه وكياسته فيأمره بالفكر اذا امكن او يرده الى الاعتقاد بما يحتمله قلبه من وعظ وذكر ودليل قريب من فهمه .[٤] ويطلب ان تبلغ ثقة المريد بشيخه مبلغا لا يجوز معها ان يضمر انكارا على مايراه منه او يعترض عليه بل يقف عند حد بصيرته وما لم يفهمه من احواله يسلمه له الى ان تنكشف له اسرار ذلك بان يبلغ رتبته وينال درجته .[٥]

ثم اذا نظرنا في كيفية حصول العلم بعد ان اوضحنا مصادر تحصيله نرى الغزالي يذكر منها التذكير والذكر والتفكير فبالتذكير يرى المريد تقصيره ويعرف حقارة الدنيا وعيوبها ونكث عهدها وخطر الاخرة ، وبالذكر ينتفع اذ يذكر الله ونعماءه [٦] ومن هذه تحضر المعرفتان في القلب، المعرفة بالنفس والمعرفة بالله فتوجب التفكر اولا في صفات النفس وثانيا فيما يليق بجوهرها فينظر في الطاعات الواجبة وكيف يؤديها ، كما ينظر في المعاصي التي تقترفها اعضاؤه ويرى في القلب آثار الصفات المهلكة كما يتأمل بالمنجيات .[٧]

---

١ ـ احياء ، ج ١ ، ع.س. ، ص ٢٨ .
٢ ـ المصدر نفسه ، ص ٢٩ .
٣ = احياء ، ج ٣ ، ع.س. ، ص ٧٣ .
٤ ـ المصدر نفسه ، ص ٧٥ .
٥ ـ احياء ، ج ٤ ، ع.س. ، ص ٣٤٦.
٦ ـ احياء ، ج ١ ، ع . س . ، ص ٤٦ .
٧ ـ احياء ، ج ٤ ، ع . س . ، ص ٤١٤ .

وهكذا فبالتفكر يكون طلب المعرفة المقصودة من العلوم وبه يكون حصولها . ونشير هنا الى معرفة الغزالي بكثرة مجارى الفكر وانها غير محصورة وثمراتها غير متناهية الا انه يقتصر على ضبط مجارى هذا الفكر بالاضافة الى امرين اولهما العلوم الدينية وثانيهما الاحوال التي هي مقامات الطالبين ، كما نذكر اهمية التفكير عنده "فأوائل العلوم "يقول الغزالي ، "محصلة بالتعلم اما البواقي فمستخرجة من التفكير "(١) وهو يقول ايضا "اذا انفتح باب الفكر على النفس علمت كيفية طريق التفكر وكيفية الرجوع بالحدس الى المطلوب فينشرح قلبه وتنفتح بصيرته فيخرج ما في نفسه من القوة الى الفعل ".(٢)

العلم والعمل .

نذكر العلم المطلوب مقرونا بالعمل الواجب وذلك لاعتبارهما صنوين يتم بالواحد الاخر. وبهما معا ينال المريد السعادة (٣) والا فما معنى قوله "لا بد من العمل مع العلم والا كان العلم هباء منثورا "(٤) وان العلم هو الشجرة والعمل هو الثمرة .

فنحن ان اعتبرنا المنفعة المعيار وجدناهما متساويين بالاهمية عند الغزالي اما ان كان مقياسنا حقيقة جوهر كل منهما يتضح لنا تفضيل الغزالي للعلم بالرتبة والمنزلة ، فهو يحله المحل الاول ويجعله الاصل الذى تكون منه الثمرة فيأتي لذلك قيل العمل لانه الاصل والشرف دائما الاصل .

علم المريد .

هو العلم النافع ، اذ يخاطب الغزالي المريد بقوله "عليك بالعلم النافع يا سالك طريق الاخرة"(٥) اذ ان العلم النافع يثمر الخشية التي تمكن من الطاعات وتحجز عن المعصية والمتأمل في هاتين النتيجتين المرجوتين من العلم المسمى هنا بالنافع يتضح له المعنى والغاية من تفضيله اياه على سائر العلوم ، وتقديمه عليها .

---

١ ـ الغزالي ، الجواهر الغوالي ، ع.س. ، ص ٣٤ .
٢ ـ المصدر نفسه .
٣ ـ الغزالي ، معراج السالكين ، ع.س. ، ص ١٩٣ .
٤ ـ المصدر نفسه .
٥ ـ الغزالي ، منهاج العابدين ، ع . س. ، ص ٦ .

عرفنا معنى العلم النافع وانه مقدم على سائر العلوم فما هو هذا العلم ؟ والغزالي يجيب ٠ "العلم النافع هو ما يزيد في خوفك من الله تعالى ويزيد في بصيرتك في عيوب نفسك ويزيد في معرفتك بعبادة ربك ويقلل من رغبتك في الدنيا ويزيد في رغبتك في الاخرة ويفتح بصيرتك بآفات اعمالك ، وهذا الفن من العلم النافع قد جمعناه في كتاب احياء علوم الدين ، فان كنت من اهله فحصله واعمل به ثم علمه وادع اليه فمن علم به ثم عمل به ثم دعا اليه فذلك يدعى عظيما "٠(١)

مادة العلم النافع ٠

المادة محدودة الاصول متشعبة الفروع ، اما اصولها فثلاثة علم التوحيد الذى يتعين منه ما يعرف به اصول الدين ، وعلم السر او العبادات الباطنة التي هي مساعي القلب ثم علم العبادات الظاهرة المتعلقة بالابدان والاموال ٠

أقسام العلم النافع ٠

نجد للعلم النافع عند الغزالي قسمين اساسيين ، علم المكاشفة وعلم المعاملة ، الاول وهو متروك للخاصة ويحذر الغزالي من لم تتوفر فيه الامكانيات ويرى من نفسه الاستعدادات من الخوض فيه حتى عرفه " بالمضمون على غير أهله " والثاني يصلح للمريد الذى صحت نيته وخلصت ارادته وفي هذا القسم كثرت تصانيف الغزالي فما سلمت من التكرار والاسهاب وسوف نوضح كلا من العلمين في باب العلوم ٠

العمل بالعلم ٠

اهتم الغزالي بالعمل ولنذكر على لسانه " لا تكن من الاعمال مفلسا ولا من الاحوال خاليا وتيقن ان العلم المجرد لا يأخذ باليد فلو قرأ رجل مائة ألف مسألة علمية وتعلمها ولم يعمل بها لا تفيده إلا بالعمل ٠ ولو كان لرجل مرض وعلاجه بالسكنكبين والكشكاب فلا يحصل البرء الا باستعمالها ولو قرات العلم مائة سنة وجمعت الف كتاب لا تكون مستعدا الا بالعمل ٠ والايمان قول باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالاركان ٠"(٢) ايها الولد العلم بلا عمل جنون والعمل بغير علم لا يكون "٠(٣)

---

١ ــ الغزالي ، بداية الهداية ، ع ٠ س ٠ ، ص ١٤ ٠
٢ ــ الغزالي ، الجواهر الغوالى ، ع٠س ٠ ، ص ٦٠ ٠
٣ ــ الغزالي ، الجواهر الغوالي ، ع٠س ٠ ، ص ٦٣ ٠

فينبغي اذن للمريد ان يهتم بالعمل بالغ الاهتمام حتى يصل الى القربات وينال الكرامات.

وقسم الغزالي العمل الى قسمين اساسيين الاعمال الظاهرة والاعمال الباطنة اما الاعمال الظاهرة فنجد الغزالي في "كتاب الاربعين في اصول الدين" يعد منها الصلاة والزكاة والصدقة والصيام والحج وقراءة القرآن وذكر الله تعالى في كل حال، والاعمال الظاهرة بجملتها اكثر من هذه ولا نذكرها هنا لان الذى يهمنا انما هو ذكر اهمية ممارسة الاعمال للمريد فالغزالي يرى في كل عمل من هذه سرا وتأثيرا في القلب.

أما الاعمال الباطنة فهي الداخلة في القلب المتعلقة به ولما كان مقصود المريد اصلاح هذا القلب وجبت عليه الاستعانة بالخلوه والصمت والجوع والسهر من أجل رقته وصفائه.[1] ويشرح الغزالي فوائد كل من هذه الاعمال في مؤلفاته ونحن نقتصر على القول من ان فائدة الخلوة الحصول على الطاعات، ثم المواظبة على العبادة، والتخلص من ارتكاب المناهي التي يتعرض الانسان لها بالمخالطة، واما الفائدة من الصمت فترك حديث الدنيا واسباب العيش التي يقسو منها القلب، ومن الجوع صفاء العقل حتى تكون له الفطنة ويستطيع الفهم، ثم من السهر فائدة جلاء القلب وتصفيته وتنويره فيضاف ذلك الى الصفاء الذى حصل من الجوع فيصير القلب مرآة مجلوة.[2]

ويلزم الغزالي المريد الاشتغال بالرياضة والمجاهدة، اى بالعمل كل اوقاته ولندعه يخاطب المريد ويقول: "ولا تشتغل بعد العصر الا بمثل ما سبق قلبه ولا ينبغي ان تكون اوقاتك مهملة فتشتغل في كل وقت بما اتفق كيف اتفق بل ينبغي ان تحاسب نفسك وترتب اورادك ووظائفك في ليلك ونهارك وتعين لكل وقت شغلا ولا تتعداه ولا تؤثر فيه سواه فبذلك تظهر بركة الاوقات."[3]

ولا نفوّت ذكر الطريقة النافعة التي ارشد الغزالي اليها كل مريد فيقول: "بل كل مريد ينبغي ان يكون له جريدة يثبت فيها جملة الصفات المهلكة وجملة الصفات المنجيات وجملة المعاصي وجملة الطاعات ويعرض نفسه عليها كل يوم، ويكفيه من المهلكات النظر في عشرة فانه ان سلم منها سلم من غيرها وهي البخل والكبر والعجب والرياء والحسد وشدة الغضب وشره الطعام، وشره الوقاع، وحب الحال، وحب الجاه." ومن المنجيات عشرة الندم على الزنوب، والصبر على البلاء،

---

١ ـ الغزالي، منهاج العابدين، ع.س.، ص ٢٩.
٢ ـ احياء، ج ٣، ع.س.، ص ٧٣.
٣ ـ الغزالي، بداية الهداية، ع.س.، ص ٦.

والرضا بالقضاء ، والشكر على النعماء ، واعتدال الخوف والرجاء ، والزهد في الدنيا ، والاخلاص في الاعمال ، وحسن الخلق مع الخلق ، وحب الله ، والخشوع له ، فهذه عشرون خصلة عشرة مذمومة وعشرة محمودة . فمهما كفى من المذمومات واحدة فيخط عليها في جريدته ويدع الفكر فيها ويشكر الله على كفايته اياها وتفريغ قلبه عنها ويعلم ان ذلك لم يتم الا بتوفيق الله وعونه فيقبل على التسعة الباقية وهكذا يفعل حتى يخط على الجميع وكذا يطالب نفسه بالاتصاف بالمنجيات فاذا اتصف بواحدة منها كالتوبة والندم مثلا خط عليها واشتغل بالباقي وهذا يحتاج اليه المريد المشمر .(١)

فبالعمل اذن تكون نجاة المريد ونحن رأينا كيف يتطهر القلب عن طريق تأديب الجوارح وعرفنا كيف تترشح من صفات هذا القلب اعمال الجوارح ليتمكن المريد من السعي لاكتساب الممكن من صفات الله والتخلق بها والتحلي بمحاسنها وبه يصير قريبا ، ولا يرى الغزالي هذا الطلب بالامر الغامض ويقول ان القلوب لا تشمئز من قبوله والتصديق به .

الاداب او الواجبات المطلوبة من المتعلم .

وضع الغزالي للمتعلم الاداب المتنوعة ، منها ما يتعلق بآداب المتعلم مع نفسه وآدابه مع معلمه ، ثم آداب له مع الصحبة ومن يعاشر .

اما مع نفسه فعليه ان يقدم طهارة النفس من رذائل الاخلاق ومن الصفات المذمومة اذ علمه عبادة قلبه وصلاة سره وقربه باطنه الى الله فالطهارة واجبة للنفس كما تلزم لها الصفات الحسنة .

ثم على المريد ان يقلل من الاشتغال بالدنيا ، فعلائقها شاغلة صارفة عن العلم والعمل . كما عليه ان ينظر في العلوم المحمودة فيطلع على جميعها فان العلوم متعاونة(٢) ثم على الطالب ان لا يخوض في فنون العلم دفعة بل يراعي الترتيب ويبتدئ بالاهم لان العمر لا يتسع لجميع العلوم فمن المستحسن ان يأخذ المريد من كل شيء احسنه ليصرف قوته في الاستكمال من العلم الذى هو أشرف العلوم وهو علم الاخرة .

ومن واجبات المتعلم ان يعرف السبب الذى به يدرك اشرف العلوم والغزالي يذكر من الاسباب شرف الثمرة او وثاقة الدليل ويقدم العلم لثمرته .

---

١ ـ احياء ، ج ٤ ، ع . س . ، ص ٤١٧ .
٢ ـ احياء ، ج ١ ، ع . س . ، ص ٥٨ .

ثم الى جانب هذا عليه ان يعلم نسبة العلوم الى المقصد كيما يؤثر المهم على غيرة، والمهم عند الغزالي من العلوم ما يهم المتعلم بشأن دنياه والاخرة واذا لم يمكنه الجمع بين ملاذ الدنيا ونعيم الاخرة فالاهم ما هو ابقى ٠

آداب المعلم مع المتعلم ٠

ان آداب المتعلم مع معلمه ان يقدم له فروض الاحترام والاجلال والتكريم فيبدأه بالتحية والسلام ، ويقلل الكلام بين يديه فلا يتكلم ما لم يسأله وان هو اراد السؤال فليستأذن الاستاذ ٠ ثم عليه ان يكون متأدبا في معارضته فلا يعارضه بقوله قال فلان بغير ما تقول ، ولا يكثر عليه عند مله واذا قام يلزم ان يقوم له ولا يتبعه بكلامه وسؤاله ولا يسأله في طريقه الى ان يبلغ المنزل ٠ ومن الواجب ايضا ان لا يسيء الظن به في افعاله فالاستاذ اعلم باسراره ٠(١)

ومع الصحبة يشير الغزالي على المريد بجملة من الاداب يواخذ بها نفسه في مخالطة من يسميهم " العوام المجهولين والاصدقاء المؤخين " اورد ها في كتاب بداية الهداية نذكر منها "كتمان السر وستر العيوب والسكوت عن تبليغ ما يسوء من مذمة الناس اياه وابلاغ ما يسره من ثناء الناس عليه وحسن الاصغاء عند الحديث وترك المماراة فيه وان يدعوه بأحب اسمائه اليه وان يثني عليه بما يعرف من محاسنه وان يشكره على صنيعه في وجهه وان يذب عنه في غيبته وان ينصحه باللطف والتعريض وان يعفو عن زلته وهفوته فلا يعتب عليه وان يدعو له في خلوته في حياته وبعد مماته وان يحسن الوفاء مع اهله واقاربه بعد موته وان يظهر له الفرح بجميع ما يتاح له من مسارة والحزن بما يناله من مكارهة وان يضمر له مثل ما يظهره فيكون صادقا في وده سرا وعلانية وعلى الجملة فيعامله بما يحب ان يعامل به "(٢)

وأما مع المعارف فالغزالي يحذر المتعلم منهم ففي آدابه معهم ينبغي ان يكون شديد الحذر وذلك لانه لا يرى الشر الا منهم ٠" فالصديق ، " يقول الغزالي ، " يعينك واما المجهول فلا يتعرض لك وانما الشر كله من المعارف الذين يظهرون الصداقة بألسنتهم ٠" (٣) وعليه يوجب الغزالي على المتعلم الاقلال من المعارف وفي آدابه معهم عليه ان لا يحتقر منهم احدا وان لا

---

١ ــ الغزالي ، بداية الهداية ، ع ٠ س ٠ ، ص ٣٩ ٠
٢ ــ المصدر نفسه ، ص ٤٢ ٠
٣ ــ المصدر نفسه ، ص ٤٣ ٠

يقابلهم بالعداوة واذا عادوه ولا يسكن اليهم في حال اكرامهم اياه وثنائهم عليه في وجهه .

وهكذا نرى ان الادب المطلوب هو تأديب الظاهر والباطن ليصلح المريد للكرامة ويصل الى المقامات وبالتالي ينال الاحوال وأولها الحياء ونرى فيه كل شيء ، ثم يتوصل الى التوكل وهو هنا الرضى والتسليم الذى ينطوى على كل شيء وبالنهاية الوصول الذى هو عند الغزالي "الانسلاخ من النفس" ، بالكلية فتكون الجذبة بطريق الجود والاحسان الى معرفة الله فلا يكون اتصال الذات بالذات انما الرؤية بسر القلب " .(١)

ومن هذا كله يتضح لنا الباعث على العلم ، كما نتبين الغاية منه ، ومن ثم المقام الذى يناله الطالب بعد الحصول عليه . فالباعث للمريد المرتاض هو الحصول على رتبة من لا يبتغي الا التقرب من الله والالتحاق بزمرة المقربين فلا يكون باعثه في الثواب الموصوف بالجنة وخوف النار ولا هو رجاء حمد الله ومخافة ذم الله ، واما الغاية فهي نيل الكرامات ، وبالنهاية المقام الذى يناله ويعرفه الغزالي بمقام ، "المنتهي الواصل "بعد ان كان "متوسطا سائرا "يركب الاهوال في طلب المراد ، ومن قبل كان "مريدا طالبا "يثابر على المجاهدات والرياضيات .(٢)

---

١ ـ الغزالي ، معراج السالكين ، ع . س . ، ص ١٤٩ .

٢ ـ المصدر نفسه ، ص ١٤٦ .

البحث الرابع
القيمون على التربية
القسم الاول
الوالدان

قلب الصبي طاهر نقي من كل نقش، يوضع امانة بين ايدى القيمين على التربية من والدين او معلم او مرشد ، فيطبعون عليه ما يرغبون بطبعه من خير او شر ،[1] ولذلك كان عليهم العناية بهذه الامانة والتوجه بالصبي الى الخير الموصل الى سعادة الحياة ونعمة المعرفة ، وزيادة في التفصيل نشير الى عناية الوالدين بما يلي من الامور :ـ

ففي امر الاكل مثلا يجب عليهما تعويده على الاخذ بيمينه والبدء باسم الله ، وعدم السبق الى الطعام وعدم تحديق النظر اليه والى من يأكل معه ، والتمهل في الاكل واجادة المضغ والحذر من تلطيخ اليد والثوب والتعود على الخبز الحاف . وعلى الوالد ان يقبح عنده كثرة الاكل بذم الطفل الشره ومدح المتأدب القليل الاكل .

وفي امر الملبس ، يحبب الوالدان اليه الابيض من الاثواب ، وفي منامه يمنع النوم نهارا وفي الليل يمنع الفراش الوثير فيعود خشونة الفراش .[2] [3]

والى جانب هذه ، كل حركة من عنده محظورة عليه فالوالدان يحفظانه من مخالطة الاطفال الذين عودوا التنعم ، ومن قرناء السوء ايضا ، ويمشيانه بعض النهار ، ويمنعانه من كشف الاطراف ، ومن الافتخار على الاقران ومن الاخذ منهم ، كما يمنع من البصق والامتخاط والتثاؤب بحضرة الغير ولا يسمح له بوضع رجل على رجل والكف تحت الذقن . وهما ايضا يمنعانه كثرة الكلام فلا يكون كلامه الا اجابة وبقدر السؤال ، ونحن نسأل كيف يكون نمو البذرة وقد اطبق الوالدان القيود باحكام ؟

الا اننا نقول وان تكن بعض الاساءة في هذه نجد كل الحسنات فيما يأتي من امر الوالدين مع الولد :ـ

---

١ ـ احياء ، ج ٣ ، ع . س . ، ص ٧١ .
٢ ـ المصدر نفسه ، ص ٧٠ .
٣ ـ بيان الطريق في رياضة الصبيان ، ع . س .

اولا ـ منع الولد من كل ما يفعله خفيـــة ٠
ثانيا ـ مجازات الولد على كل فعل له محمود ، والتغافل عن بعض افعاله السيئة ، فيقـــول الغزالي اذا تستر الطفل يلزم التغافل اذ ان المكاشفة تزيده جسارة وعدم مبالاة ، اما ان عاد ولم يرتدع من نفسه فالمطلوب معاقبته بالسر وليكن العتاب قليلا لئلا يهون على الطفل تأثيـــر الملام ، وسماع التأنيب وفعل القبيح ٠

القسم الثاني
المعلم

يجل الغزالي المعلم ويقدره حق قدره فله عنده علو الرتبة وسمو المنزلة والثواب العظيم ، هو يخرج الناس ، على زعمه من حد البهيمية الى حد الانسانية [١] واى صناعة اشرف من هذا واى عمل اشق من اخراج الانسان الى حد الانسانية ، فالمعدن تكثر فيه الشوائب والنخل في النواة لا يبرز الا بالتعب والمعلم يسعى الى كل هذا طالما نفس الانسان عند الغزالي معدن للمعلم ومنبع له وهو فيها بالقوة في اول الفطرة لا بالفعل كالنار في الحجر والماء في الارض والنخل في النواة .[٢]

ويرى الغزالي في المشتغل في هذه الصناعة انه قد تقلد امرا عظيما وخطرا جسيما ولهذا يلزمه حفظ آداب معينة والقيام بوظائف نذكر منها آداب المعلم ووظائفه في حق نفسه ، ثم في حق تلميذه : ـ

اولا . ادب المعلم في حق نفسه : ان يترفع عن المكسب والمغنم من افادة العلم فلا يطلب استفادة المال ولا الرياسة حتى ولا التجمل بكثرة المستفيدين من علمه ، كما ينبغي لمعلم العلم العملي ، وهو علم الشرع هنا ، ان يكون عاملا بما يعلم حتى يسترشد الطالب به لان العمل مدرك بالبصر والعلم بالبصيرة واصحاب الابصار عند الغزالي اكثر من ارباب البصائر ، ولم يفت الغزالي حمل الاستاذ على تجميل نفسه كيلا ينفر طلابه منه .

ثانيا . وظائف المعلم في حق تلميذه : فهي كثيرة نعد منها ، تقديم النصح للمتعلم فينبهه الى الى غاية العلوم ويمنعه من العلوم التي يطلبها للدنيا ، انما يجب ان يحبب اليه طلب علوم الآخرة .

ومن اداب المعلم مع تلميذه ايضا ان يجتنب تقبيح بعض العلوم ، التي ليست بين يديه في نفس المتعلم فلا يقبح معلم اللغة علم الفقه عنده ولا معلم الفقه يقبح العلوم العقلية ، هذا وان كان المعلم مشتغلا بعلمين معا رقى المتعلم من الاول الى الثاني بعد الفراغ منه مع مراعاة التدرج

---

١ ـ غ احياء ، ج ١ ، ع . س . ، ص ١٨ .
٢ ـ الغزالي ، ميزان العمل ، ع . س . ، ص ١٤٢ .

ثم من الوظائف المهمة ، التي يوجب الغزالي على المعلم الاخذ بها ، الاقتصار بالمتعلمين على قدر افهامهم ، فبحسب الامكانيات وعلى قدر الاستعدادات يرقي الاستاذ المتعلم من الجلي الى الدقيق ومن الظاهر الى الخفي فلا ينفر من العلم ولا يضطرب عقله ،كما يلزم ان لا يذكر له ان وراء العلم الذى يشرح حقائق ادق لا يقولها له فان هذا مما يفتر رأيه فيما يلقي اليه فالافضل اذن ان يرقيه من علم الى غيره بالتدرج .(١) (٢)

ومن دقائق صناعة التعليم التي تنبه الغزالي اليها وجوب اللجوء الى التعريض في النهي دون التصريح وبطريق الرحمة لا بالتوبيخ فالتعريض اشد عملافي الزجر وابلغ اثرا في النهي لان النفس تميل الى الاستنباط والتنبه للخفيات والتعريض يجعلها تستخرج المعنى بالفكر كما ان التعريض يبقى للمعلم هيبته اما التصريح فيرفع الهيبة بالمرة ، وقد سبقت الاشارة لهذه الناحية .

---

١ ــ منهاج المتعلم ، ع . س .

٢ ــ احياء ، ج ١ ، ع . س . ، ص ٥٨ .

القسم الثالث
المرشد

بالمرشد يقصد الغزالي "المشتغل بتكميل القلب وتجليته وتطهيره"[1] فالعلوم كما يراها انما تدرك بكمال العقل وصفاء الذكاء لا يمكن تحصيلها الا به لان القوة البشرية الشخصية عاجزة عن الوصول بدون المرشد الذى هو من اهل البصيرة ومنه يستمد الطالب الراغب وبه يستعين .

ويأتي المرشد بالرتبة التي تلي رتبة الانبياء اذ حكمه على باطن الخواص يفيدهم العلم ويهذب لهم النفوس ، وهو يكون في مدارس علماء الآخرة ورباطات الصوفية هو سالك الطريق نفسه الذى لا تقتصر عليه صفات كماله بل يسرى الى غيره فلا يجالسه احد الا ويفيض عليه شيئا من كماله وكمال العبد في عقله وورعه وعلمه .

طريقة المرشد في الارشاد .

يعتمد المرشد على ان يكون القدوة والنصيحة لذلك صار السكون في الطريقة، اعدل الطرق وافيدها ، فبمشاهدة التلميذ لاداب يقتدى به فان "لسان الحال افصح من لسان المقال"[2]

كما يلجأ الى المعالجة ايضا ، فكثيرا ما تحتاج نفوس المريدين وقلوب المسترشدين الى تطبيب وينبغي في هذا ان يعرف اخلاقهم وامراضهم قبل ان يشتغل في رياضتهم فلا يكلفهم جميعهم العمل الواحد ولا الطريقة الواحدة اذ ان شانه مع المريدين شأن الطبيب مع المرضى ، فلا يصلح له ان يشير عليهم بنمط واحد من الرياضة فان هذا يهلكهم لذلك ينبغي ان ينظر في مرض المريد وفي حاله وسنه ومزاجه وما تحتمله بنيته من الرياضة ويبني على ذلك رياضته وانظر بماذا يشير الغزالي هنا عندما يقول ، "فان كان المريد مبتدئا جاهلا بحدود الشرع فيعلمه اولا الطهارة والصلاة وظواهر العبادات وان كان مشغولا بمال الحرام او مقارفا لمعصية فيأمره اولا بتركها ، فاذا

---

١ ــ احياء ، ج ١ ، ع . بس . ، ص ٢٠ .
٢ ــ الغزالي ، منهاج العابدين ، ع . س . ، ص ١٧ .

تزين ظاهرة بالعبادات وطهر عن المعاصي الظاهرة جوارحه تظهر بقرائن الاحوال الى باطنه ليتفطن لاخلاقه وامراض قلبه فان رأى معه مالا فاضلا عن قدر ضرورته اخذه منه وصرفه الى الخيرات وفرغ قلبه منه حتى لا يلتفت اليه وان رأى الرعونة والكبر وعزة النفس غالبة عليه فيأمره ان يخرج الى الاسواق للسؤال فان عزة النفس والرياسة لا تنكر الا بالذل فيكلفه المواظبة مدة حتى ينكسر كبره ومن لطائف الرياضة ان ينقله من الخلق المذموم الى خلق مذموم اخف منه . وان رأى الغضب غالبا عليه الزمه الحلم والسكوت وسلط عليه من يصحبه ممن فيه سوء خلق ويلزمه خدمة من ساء خلقه حتى يمرن نفسه على الاحتمال معه وهكذا في معالجة القلوب" (١) ويضيف ، "وانما غرضنا التنبيه على ان الطريق الكلي فيه سلوك مسلك المضادة لكل ما تهواه النفس وتميل اليه والاصل المهم في المجاهدة الوفاء بالعزم على ترك شهوة فقد تيسرت اسبابها ويكون ذلك ابتلاء من الله واختبارا فينبغي ان يصبر ويستمر فانه ان عود نفسه ترك العزم الفت ذلك واذا اتفق منه نقض عزم فينبغي ان يلزم نفسه عقوبة عليه واذا لم يخوف النفس بعقوبة غلبته وحسنت عنده تناول الشهوة فتفسد بها الرياضة بالكلية ." (٢)

فتعليم المرشد بجملته عند الغزالي ترويض بالمعالجة وتهذيب بالمخالطة ويقول فيه ان حالة حال المعلم وان حكمه حكمه ويتطرق اليه من الافات والاغلاط كما يحصل لغيره . اما في طلابه فيقول الغزالي انهم قلة "لان مخايل طلبة الدنيا من المريدين الطالبين للارتياض ابعد منها من طلبة المعلم ولذلك كان طلبة العلم كثرة ." (٣)

---

١ ـ احياء ، ج ٣ ، ع . س . ، ص ٥٩ .

٢ ـ المصدر نفسه ، ص ٦١ .

٣ ـ احياء ، ج ٢ ، ع . س . ، ص ٢٣٩ .

البحث الخامس
مادة العلم
القسم الاول
العلوم

العلوم .

نتناول موضوع "العلوم" على انه موضوع اتسعت فروعه وتعددت نواحيه عند الغزالي اتساعا بات يتحتم على الباحث النظر في كل فرع وتقصي كل ناحية وهذا ما لم يتوفق اليه ، وللغزالي فيها اى في العلوم مؤلفات عديدة يقف الوقت في طريق الاطلاع على جملتها كما نقف أمام بعض المؤلفات على انها صعبة لا يفقهها الا من عاش مع الغزالي وعرفها عنه او من له بالفطرة المقدرة على فهم كنه معانيها ودرك لباب مقاصدها .

لكن ما توصلنا اليه نحن انما هو معرفتنا بأن الغزالي نظر في العلوم بالنسبة الى اقسامها وتفاصيلها ومراتبها وطرق تحصيلها فكثرت الملابسات فيها واغتلفت الاشارات اليها مما جعل فهمها صعب المنال ، الا اننا نتوخى شدة الحذر ونعتمد على ايراد مصادر المعلومات أكثر مما نعتمد الشرح والتفسير ، اذ همنا نحن في هذه الرسالة لا يتجاوز الذكر ، اى ذكر الاقسام والتفاصيل ثم المراتب وطرق التحصيل .

اقسام العلوم .

نجد الغزالي يتكلم في العلوم على انها قسمان دائما ، "شرعي وعقلي" في الجواهر الغزالي ، "العلم الظاهر والعلم الباطن" في احياء علوم الدين الجزء الثالث ، "علم المعاملة وعلم المكاشفة" في احياء علوم الدين ايضا ، الجزء الاول ، ثم "علم فرض عين وعلم فرض كفاية" في المؤلف عينه والجزء ذاته ، وفي كتاب ميزان العمل هما "العلم النظرى والعلم العملي" ولننظر في التفاصيل .

في تفاصيل العلوم .

لقد نظر الغزالي الى العلوم بالنسبة الى تفاصيلها وذكر لها الاصول والفروع فلننظر فيها وسبيلنا في النظر الاقتصار دون الاستقصاء .

ان للعلم العقلي والعلم الشرعي في مؤلفات الغزالي تفاصيل تتناول • اولا ، ذكر الاستعداد لقبولها ثم اصول للعلمين وفروع لهما وكذلك ترابط العلمين وتماسكهما وتمام الواحد منهما بالثاني •

فمن حيث الاستعداد يقول الغزالي ان القلب مستعد لقبول حقائق معلومات العلمين فيقبل القلب ما تقضي به غريزة العقل من العلم الاول كما هو يألف بالتقليد والسماع ما يطلبه العلم الثاني •

والعلوم العقلية تقسم الى ضرورية ومكتسبة تتفرع بدورها الى دنيوية واخروية • ولا نذكر من الضرورية سوى انها تحصل للانسان دون ان يدري من اين حصلت ولا كيف حصلت بل يجد نفسه مفطورا عليها منذ الصبا كعلمه بأن الشخص الواحد لا يكون في مكانين في وقت واحد والشيء الواحد لا يكون حادثا وقديما موجودا معدوما معا ،كما لا نذكر من المكتسبة اكثر من انها هي المستفادة بالتعلم والاستدلال من كتاب الله وسنة الرسول ، وكتاب الله قد حوى كل علم من علوم الدنيا والآخرة .(١)

كما وان العلوم الدنيوية تشكل علم الطب والحساب والهندسة والنجوم وسائر الحرف والصناعات ، اما الاخروية فيندرج تحتها علم بأحوال القلب وآفات اعمال الجوارح والعلم بالله وبصفاته وافعاله •

اما العلوم الشرعية فيقسمها الغزالي ايضا الى قسمين احدهما في الاصول كعلم التوحيد فينظر العلم في ذات الله وصفاته ورؤيته كما ينظر في احوال الانبياء واحوال الموت والحياة والقيامة والبعث والحشر والحساب ، (٢) كما يجعل الغزالي علم التفسير، تفسير القرآن من علم الاصول ايضا وهذا العلم يقتضي اولا تحصيل علم اللغة وفن النحو والاعراب وفي هذا يكون الغزالي قد احل علم اللغة محلا عاليا بين علومه واتخذها سلما الى جميع العلوم وسبيلا في تحصيلها • وثانيهما في الفروع ويشتمل على امور ثلاثة يسميها الغزالي حقوقا منها حق الله تعالى ويقتضي العلم بهذا الحق وبأركان العبادات ، بالصلاة والزكاة والطهارة والحج ، ثم حق العباد

---

١ ــ احياء ، ج ٣ ، ع • س • ، ص ١٧٠ •
٢ ــ الغزالي ، الجواهر الغوالي ، ع • س • ،ص ٢٨٠ •

وهو من العبادات في وجهين، الاول ، المعاملة ، معاملة العباد فيما بينهم ، والثاني المعاقدة كأى عقد يضطر اليه اثنين او اكثر من خلق الله ، وان الذى يجمع هذين الوجهين من الحق الثاني اى حق العباد ، هو الفقه . واما الحق الثالث من فروع العلوم الشرعية ، هو حق النفس ويحتويه عند الغزالي علم الاخلاق ، وقد اعطاه من العناية الحظ الكبير ، لقد اظهر ما هو مذموم منه فأوجب تركه وبين ما هو محمود فيه فحض على تحصيله كما ذكر لطالبه كتاب الله واخبار الرسول على انهما اعظم مرجع وابينه .(١)

والعلمان ، العلم العقلي والعلم الشرعي ، متماسكان مترابطان "فالعلوم العقلية كالاغذية والعلوم الشرعية كالادوية وامراض القلوب تتداوى بالادوية المستفادة من الشريعة "(٢). فمن لم يداو قلبه المريض بالعلوم الشرعية واكتفى بالعلوم العقلية استضر بها (٣) وهكذا تكون العلوم العقلية عند الغزالي غير مناقضة للعلوم الشرعية وان الجمع بينهما كما نرى ممكن ولازم، ومن يفهم غير ذلك فمطالب بخطأه ومراجع بسوء فهمه ،(٤) ولا ادل على ترابط العلمين وتماسكهما من قوله "العلم العقلي شرعي عند عارفه والعلم الشرعي عقلي عند عالمه "(٥)،كما اننا نستدل من القول ايضا ان مركب هذين العلمين هو المقصود بعلم الصوفية الذى قال فيه في مقام آخر "ان العلم العقلي مفرد بذاته والعلم الشرعي مفرد بذاته ويتولد منهما علم مركب توجد فيه جميع احوال العلمين المفردين وذلك العلم المركب ، علم الصوفية وطريق احوالهم اذ لهم علم خاص وطريقة واضحة مجموعة من العلمين وعلمهم يشتمل على الحال والوقت والسماع والوجد والشوق والسكر والصحو والمحو والفقر والغنى والولاية والارادة والشيخ والمريد وتعلقه بأحوالهم مع الزوائد والاوصاف والمقامات "(٦) (٧)

علما الظاهر والباطن .

عندما يسمي الغزالي العلم بالظاهر وبالباطن انما يقصد بالاول العلم بما يجرى على الجوارح من العبادات والعادات ، وبالثاني ما يجرى على القلب من الصفات المهلكات

---

١ ـ منهاج المتعلم ، ع . س . دمشق . رقم ٧٤٦١ .
٢ ـ احياء ، ع . س . ،ص ٧٧ .
٣ ـ المصدر نفسه .
٤ ـ المصدر نفسه ، ص ١٧ .
٥ ـ الغزالي ، الجواهر الغوالي ، ع . س . ، ص ٢٧ .
٦ ـ منهاج المتعلم ، ع . س .
٧ ـ الغزالي ، الجواهر الغوالي ، ع . س . ،ص ٣٢ .

والمنجيات ، ونكتفي بذكر الاسم للعلمين ، وبهذا المقدار من التفسير ، بالاقتصار الى الاشارة بأنهما بردان في بعض المؤلفات على انهما اسماء لعلوم سميت بأسماء آخر .

المكاشفة والمعاملة .

وتفاصيل علمي المكاشفة والمعاملة ، انهما مجتمعان يكونان علم طريق الآخرة وهما يستحقان العناية ، فالاول يقول الغزالي انه" ذوقي " يوصل الى معرفة الله والثاني يحدده بعلم "صقل مرآة القلب " بأعمال الزهد والتقوى والعبادة .(١)

ونزيد البحث ايضاحا عند ما نقول ان الاول اشير اليه في بعض الاماكن بعلم الباطن وأنه غاية العلوم وادنى نصيب من التصديق به وأتم شيء بحقه تسليمه لأهله ، فهو عبارة عن نور يظهر في القلب عند تطهيره وتزكيته من صفاته المذمومة فينكشف من ذلك النور امور كثيرة، وان اجلها هو امر معرفة الله، وان منتهى معرفة الله الاعتراف بالعجز عن معرفته .(٢)

واما علم المعاملة فهو علم احوال القلب ويذكر ان الصبر والشكر والخوف والرجاء والرضى والزهد والتقوى والقناعة والسخاء ومعرفة المنة لله في جميع الاحوال والاحسان وحسن النظر وحسن الخلق وحسن المعاشرة والصدق والاخلاص هي احمدها اى احمد احوال هذا القلب ويتناول هذا العلم معرفة حقائق هذه الاحوال، وحدودها واسبابها التي بها تكتسب، وثمرتها وعلامتها ، ومعالجة ما ضعف منها حتى يقوى بعد ضعف وما زال حتى يعود عقب زوال .

علم فرض عين وعلم فرض كفاية .

هنا نجد ان التسمية وردت على لسانه بهذه الصيافة لمقتضى اهمية الطلب للعلم فهو يفترض ان طلب بعضه واجب وطلب البعض الاخر على كفاية . اما العلم الذى طلبه فرض فهو ثلاثة : ـ

الاول ـ علم التوحيد .
الثاني ـ علم السر يعني به ما يتعلق بالقلب ومساعيه .
الثالث ـ علم الشريعة ـ وهو العبادات الظاهرة .

فمن علم التوحيد يتعين فرضا معرفة اصول الدين وهو ان له الها عالما، قادرا ، مريدا، حيا، متكلما ، سميعا، واحدا، متصفا بصفات الكمال ، منزها عن النقصان والزوال، الى جانب

---

١ ـ احياء ، ج ١ ، ع . س . ، ص ٢٦ .
٢ ـ الغزالي ، منهاج العابدين ، ع . س . ، ص ٧ .

مسائل تجب معرفتها من السنه .(١)

واما الذى هو فرض عين من علم السر هو وجوب معرفة الله حتى يصل العبد بسره الى تعظيم الخالق وذلك بنية خالصة وعمل سليم .(٢)

وفي علم الشريعة يقول "فكل ما يتعين عليك فرض فعله وجب عليك معرفته لتؤدي به كالطهارة والصلاة والصوم فهذا يلزم العبد تحصيله من العلم لا محالة" .(٣)

وفرض الكفاية هو علمي الطب والحساب كما ان الغزالي يجعل الصناعات ايضا من فروض الكفايات كالفلاجة والحياكة والسياسة .

ان هذه العلوم ضرورية ومفيدة في اصلاح امور الدنيا انما تحصل الكفاية من كل علم لو حصله واحد من اهل البلد . ان الغزالي في هذا المقام لا يرى وجوب تحصيلها عند الكل، فواحد لو عرفها اغنى غيره عن معرفتها .

العلم النظرى والعلم العملي :

العلم عند الغزالي انما يكون نظريا علميا وانما يكون عمليا تطبيقيا .

وهو عندما يسمي العلم بالعلم النظرى ، يشير الى العلم الذى هو العلم بالله وصفاته وافعاله وبالعملي انما ذلك الذى هو العلم بكيفه العمل . وينبغي من العلمين "تبليغ النفس كمالها فتسعد بكمالها مبتهجة بما لها من البهاء والجمال" .(٤)

يتميز العلم النظرى بأن معلوماته باقية وهي واحدة في كل العصور وحيث انه علم بالله وبصفاته وكتبه ورسله وعجائب النفوس الانسانية والحيوانية وهو ايضا معرفة النبوة ومقدمات الرؤيا وحال النوم واليقظة .(٥) (٦)

كما يعتبر الغزالي العلم العملي ثلاثة علوم :-

الاول - العلم بصفات النفس واخلاقها وهو الرياضة ومجاهدة الهوى .
الثاني - العلم بكيفيته العيش مع الاهل والولد .
الثالث - علم سياسة اهل البلد ، والعلم الاول من بينها هو اهم العلوم

---

١ - الغزالي ، منهاج العابدين ، ع . س . و ص ٧ .
٢ - المصدر نفسه .
٣ - المصدر نفسه .
٤ - الغزالي ، كتاب ميزان العمل ، ع . س . ، ص ٥٣ .
٥ - منهاج المتعلم ، ع . س .
٦ - الغزالي ، كتاب ميزان العمل ، ع . س .

الثلاثة عند الغزالي وذلك لأهمية اعتدال النفس فهي ان اعتدلت عدلت وتعدت عدالتها الى الكل .(١)

مراتب العلوم :

تتعين مراتب العلوم عند الغزالي بقدر قربها وبعدها من المقصود ، ولا يقصد الغزالي من العلم شيئا بقدر ما يقصد الله تعالى فالعلم به اشرف العلوم واعلاها رتبة .

لقد كثرت اشارة الغزالي في مؤلفاته العديدة الى ان العلم الاعلى الاشرف هو علم معرفة الله تعالى وان هذا العلم يراد لنفسه وان سائر العلوم تراد له ومن اجله ، وهو يجعله ايضا طبقات اعلاها علم الذات ثم علم الصفات واخيرا علم الافعال ، ويلزم ان يراعى في هذه العلوم التدرج وان لا يتطلع الى اعلاها الا من طلب الحق وارتاضت نفسه فاستقامت . ورزق ذكاء وقادا وفطنة بليغة وفهما صافيا . ويتلوه

ويتلوه في الرتبة علم الاخرة ثم يأتي في المرتبة الثالثة ودون العلمين السابقين العلم بتزكية النفس والتحلي بالصفات المنجية .(٢)

طريق تحصيل العلوم :

بعد ان عددنا العلوم ومراتب تلك العلوم ننظر في طرق التحصيل ، اذ ان لتحصيل العلم عند الغزالي طرقا معينة وكلها تتبع ما يرتأيه او يعتقده في "العلم" وفي "المعلوم" وفي العالم".

ولما كان العالم عبارة عن القلب المحيط بالاشياء ، المدرك حقائقها ، والمتصور لها ، والمعلوم عبارة عن ذوات الاشياء التي ينتقش علمها في القلب ، والعلم ليس هو الا حصول النقش(٣) كانت لها طرق تحصيل مؤتية وملائمة وهو يجعلها في طريقين ، اما الاول فانساني واما الثاني فرباني ، وفي جملة تفصيلها وشرحها يذكر ان الاول هو "طريق معهود ومسلك محسوس يقربه جميع العقلاء"(٤) ، وعلومه مكتسبة محصلة بالتعلم وان الثاني هو طريق المتصوفة وعلومه كشفية ذوقية .

---

١ ــ الغزالي ، كتاب ميزان العمل ، ع . س . ، ص ٥٤ .
٢ ــ الغزالي ، جواهر القرآن ، ع . س . ، ص ٢٥ .
٣ ــ احياء ، ج ٣ ، ع . س . ، ص ١٢ .
٤ ــ منهاج المتعلم ، ع . س .

يحصر الغزالي تحصيل العلم الانساني بالكسب وبالسماع ، فبالاول يكون بمداومة الدرس ، وبالقراءة ، وبالنظر في الدليل وأهمية هذا الاخير انه العلم الحاصل بالحواس اكتسابيا أى حاصلا بمباشرة الاسباب بالاختبار وهذه تقتضي الحواس السليمة والخبر الصادق ونظر العقل . وبالثاني يقصد العلم عن العلماء بالسماع في امور دينهم ودنياهم وحصوله يكون بمحبة العلماء والاختلاط بهم والمجالسة معهم والاستئناس فيهم . فقال عن علماء الامة انهم ادلاء الطريق وتلزم الاستفادة منهم وعنهم تعلم الفرائض . وان تعلم اليقين يكون بمجالسة الموقنين وبالمواظبة على الاقتداء بهم ، والتصديق لأقوالهم والاقتصار على اتباعهم اذ ان السلامة عنده في الاتباع .

كما يرى الغزالي تمام تحصيل العلم الرباني ، العلم الذى يسميه احيانا بالعلم اللدني ويعرفه بالغيبي ويقول انه الهامي ، وينظر اليه على انه كشفي ، خفي ، في وجهين الوجه الاول تحصيله من الخارج والوجه الثاني انما هو تحصيله من الداخل .

نتناول اولا وجهة تحصيل العلم من خارج فنذكر وجوب تحصيل العلوم واخذ الحظ الاوفر من اكثرها ، ثم لزوم الرياضة الصادقة والمراقبة الصحيحة اذ ان الغزالي يلزم طالب العلم "ان لا يدع فنا من العلوم المحمودة ولا نوعا من انواعه الا وينظر فيه نظرا يطلع به على مقصده وغايته ثم ان ساعده العمر طلب التبحر فيه والا اشتغل بالاهم منه واستوفاه" .(١)

واما تحصيل العلم من داخل فبالتفكر "فالنفس اذا تعلمت وارتاضت بالعلم ثم تفكرت في معلوماتها بشروط التفكير ينفتح عليها باب الغيب ".(٢) اذن يجعل الغزالي الفكر من الباطن بمنزله التعلم في الظاهر اذ يقول "التعلم استفادة الشخص من الشخص الجزئي والتفكر استفادة من النفس الكلي والنفس الكلي اشد تأثيرا واقوى تعليما من جميع العلماء والعقلاء والعلوم مركوزة في اصل النفوس كالبذرة في الارض والجوهر في قلب المعدن ".(٣)

ان قلب كل انسان قابل لهذه العلوم وانما تفوته لسبب طارئ اوعارض ولذلك قال "كل مولود يولد على الفطرة" وما هذه الاسباب غير نقصان في ذات القلب اوصدأ يتراكم عليه . ونحن نذكر هذه الاسباب كما وردت في "احياء علوم الدين" . وهي خمسة :ـ (٤)

---

١ ـ احياء ، ج ١ ، ع . س . ، ص ٥٨ .
٢ ـ الغزالي ، الجواهر الغوالي ، ع . س . ، ص ٤٠ .
٣ ـ المصدر نفسه ، ص ٣٢ .
٤ ـ احياء ، ج ٣ ، ع . س . ، ص ١٣ .

اولا ـ نقصان في ذات القلب ، كقلب الصبي .
ثانيا ـ بسبب ما يتراكم على وجه القلب من معاصي وخبث وشهوات تظلمه .
ثالثا ـ ان يكون معدولا به عن جهة الحقيقة المطلوبة وأغفال جعله محاذيا بمرآته شطر المطلوب .
رابعا ـ ان يكون محجوبا بسبب اعتقاد سبق اليه على سبيل التقليد والقبول عن الظن .
خامسا ـ الجهل بالجهة التي يقع منها العثور على المطلوب .

اننا ، في هذا ، نجد الغزالي متيقنا من ان العلم الرباني هو اقوى واكمل من العلوم المكتسبة وان هذا العلم ممكن وان الانسان قد خلق له وبسببه فارق سائر الموجودات ولأجله أأتمن على المعرفة والتوحيد ، كما اننا نجد اعتماده فيه على ارادة الله ، حيث انه يؤمن بأن الله ان اراد بعبده خيرا علمه الحكمة ، وان حقيقة الحكمة تنال من العلم اللدني وان الانسان ما لم يبلغ هذه المرتبة لا يكون حكيما لان الحكمة من مواهب الله ومن يؤتي الحكمة اوتي خيرا كثيرا لان الواصلين الى مرتبة العلم اللدني يستغنون عن كثرة التحصيل وتعب التعليم فيتعلمون قليلا ويعلمون كثيرا " .(١)

ثم لا يفوت الغزالي ان يقول بأن الجاهل بالعلم اللدني لا يقره انما يقره المطلع عليه ، وانه هو لا يقره تقليدا او تخمينا بل اقرارا من اطلع على طريق التحصيل ودرى امر الفطرة الانسانية وصفاءها وكيفية استعدادها لقبول اثار العلم .(٢)

اهمية العلوم :

يحسب الغزالي العلوم للقلب بمنزلة الطعام والشراب للابدان اذ حياته ، اى حياة هذا القلب ، لا تكون الا بها ، اى بالعلوم ، وقد جاء على لسانه من اقوال النبي " من كان حيا بالعلم لم يمت " فالعلوم عنده اذن نور ، وما للنور زوال ويجد ان لزومها من لوازم النفس وان طلبها باق طالما النفس باقية .

ثم يذكر ان تحصيل العلوم ، الى جانب انها تنمية للقلب وان بها قوامه ومنها استنارته ومعها بقاؤه ، هي ايضا وسيلة الى كل فضيلة ودنيوية وانها تزيد الشريف شرفا وترفع مكانة الوضيع بين الناس .(٣)

---

١ ـ الغزالي ، كتاب ميزان العمل ، ع . س . ، ص ٤٤ .
٢ ـ الغزالي ، الجواهر الغوالي ، ع . س . ، ص ٢٠ .
٣ ـ منهاج المتعلم ، ع . س .

العمـــل بالعلـــم :

حينما تكلمنا عن تربية المريد ذكرنا اهمية العمل بالعلم واشرنا الى انهما متعاونـــان متلازمان فلا يتم الواحد الا بالثاني ولا ينتفع الا بهما معا . ونحن اذ نذكر العمل بالعلم في هذا المقام فذلك من أجل توكيد قيمة العمل عند الغزالي وان الانتفاع من العلوم لا يكـــون الا بهوالتوصل الى الغاية والنتيجة لا يكون الا عن طريقه حيث يقول لكل من اراد النجاة ان لا نجاة له الا بالعمل الصالح [١]، كما انه يقول للذى يحسب بأن العلم المجرد تكون النجاة وبه وحده يكون الوصول وللذى يتوهم انه مستغن عن العمل " سبحان الله العظيم لا يعلم هـــذا المغرور انه حين حصل العلم اذا لم يعمل به تكون الحجة عليه اكد "[٢].

غايـــة العلوم او المقصود منهـــا :

ان المقصود من كل ما يتعلمه الانسان كمال نفسه وفضيلتها والتخلق بأخلاق اللـــــه والتحلي بمعاني اسمائه وصفاته وفي الاخرة التقرب الى الله فهو يستبعد ان يكون المقصود من العلوم ، الرئاسة والمال والمباهاة .

وان سأل كيف يكون التحلي بالصفات يجيب الغزالي بأن هذا لا يوجب المماثلة[٣] بـــل انه لا يزيد عن الاتصاف بأوصاف يعرف بها العارف ربه وقد افاض البحث فيها في كتاب لـــــه اسماه " المقصد الاسنى " فليرجع اليه من يرغب في الفهم الدقيق وفي المعرفة التامة لمقصـــــد الغزالي وغايتـــه .

ان نزعة الغزالي الصوفية هي التي جعلته يهتم بالعلم الرباني وكانت سبب هذا الانكباب على فهم هذا العلم والتيقن من حقيقته اذ هو في الواقع اعتنى عناية خاصة بمسائل الغيبيـــات واهتدى الى الكشف الصوفي ، الحال الذى دله عليها ، والطريق الذى اوصله اليها .

وهكذا نجد بالنهاية الملابسات بين حقائق تلك العلوم وغاياتها فتكاد تكون هذه ، اى الحقائق والغايات كلها واحدة ، انما اختلفت بالاشارة اليها بالاسماء المتنوعة ، كما نخلص بالنتيجة الى ان العلم عند الغزالي اما ان يكون علميا واما ان يكون عمليا وهو يجعل مصدرهما القرآن والطريق اليهما التصوف وان اشرف العلمين في اعتقاده هو العلمي اذ انه هو العلم بالله وباليوم الآخر ودونه العملي اى العلم بالصراط المستقيم وطريق السلوك فيجعل حدود الاول في معرفـــة

---

١ ــ احياء ، ج ٣ ، ع . س . ، ص ٦٢ .
٢ ــ الغزالي ، الجواهر الغوالي ، ع . س . ، ص ٦٠ .
٣ ــ الغزالي ، معراج السالكين ، ع . س . ، ص ١٩٤ .

الله بالصفات والافعال ، كما يجعل حدود الثاني معرفة تزكية النفس بترك العقبات المهلكة والتحلي بالصفات المنجية • وفيما يلي صورة لمخطوط يثبت احلال الغزالي العلم في المحل الاول •

وروى عن كعب انه قال السماء الدنيا موج مكفوف والثانية مورة
بيضاء والثالثة حديدة والرابعة صفراء قال ونحاس والخامسة
فضة والسادسة ذهب والسابعة ياقوتة حمراء وبين السماء
والحجب السبعة صحارى من نور معالم التنزيل

وَأَرْسَلَتِ الرُّسُلَ بِكُلِّ إِجْلِهِمَا خُلِقَتِ السَّمٰوٰتُ وَالْأَرْضُ

وَمَا فِيهِمَا مِنَ الْخَلْقِ فَتَأَمَّلْ أَيَّتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللهِ تَعَالَى الَّذِي
لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ

أَحَدُهُمَا قَوْلُهُ تَعَالَى اللهُ الَّذِي
خَلَقَ سَبْعَ سَمٰوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ
بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ
بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا وَكَفٰى بِهٰذِهِ الْآيَةِ دَلِيلًا عَلٰى شَرَفِ الْعِلْمِ
لَا سِيَّمَا عِلْمُ التَّوْحِيدِ وَالْآيَةُ الثَّانِيَةُ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ
وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ وَكَفٰى بِهٰذِهِ الْآيَةِ
دَلِيلًا عَلٰى شَرَفِ الْعِبَادَةِ وَلُزُومِ الْاِقْبَالِ عَلَيْهَا فَاعْظَمْ
بِأَمْرَيْنِ هُمَا الْمَقْصُودُ مِنْ خَلْقِ اللهِ فِي الدَّارَيْنِ تُحِفَّ لِلْعَبْدِ
أَنْ لَا يَشْتَغِلَ إِلَّا بِهِمَا وَلَا يَتَعَبَ إِلَّا لَهُمَا وَلَا يَنْظُرَ إِلَّا فِيهِمَا
فَإِذَا عَلِمْتَ ذٰلِكَ وَاعْلَمْ أَنَّ مَا سِوَاهُمَا مِنَ الْأُمُورِ بَاطِلٌ
لَا خَيْرَ فِيهِ وَلَغْوٌ لَا حَاصِلَ لَهُ فَإِذَا عَلِمْتَ ذٰلِكَ فَاعْلَمْ

وهكذا ان رجلا
قال لذي النون المصري
قال الله اوصني قال لك احفظ
عليّ ثلث موجود وثلث مفقود والثالث موجود والثاني مفقود والاول
موجود فالمعلوم به مفقود والاخلاص في العمل مفقود وهو الثاني
وهو الذي انت موجود والضدان لا يجتمعان وفي الدعوى مفقود
وهو الذي انت مفقود والثالث موجود وفي الدعوى مفقود
وقال مالك بن دينار
الفقيه الذي يمنع الناس من المعاصي
ويعلمهم امر دينهم
وهكذا قال علي رضي الله عنه
وقال ابو الدرداء
لا يكون الرجل عالما حتى يكون بعلمه عاملا
وقال ابو حازم
العلم الذي ينفع هو الذي يدعو الى الزهد في الدنيا
والرغبة في الآخرة
وقال ابو سليمان الداراني
ليس العلم بكثرة الرواية
انما العلم الخشية والزهد
وقال ابو عثمان
من ألزم نفسه الادب
قويت جوارحه على العمل
وقال ابو حفص
من لم يتهم خواطره على كل حال
لم يعدها صالحة
وقال ابو سعيد الخراز
من لم يعرف العلل
لم يؤمن عليه الغلط
وقال ابو يزيد
من لم يعرف آفات نفسه
لم يصل الى حقائق العلم

أَنَّ الْعِلْمَ أَشْرَفُ الْجَوْهَرَيْنِ وَأَفْضَلُهُمَا وَلِذٰلِكَ قَالَ النَّبِيُّ
إِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلٰى أُمَّتِي وَقَالَ النَّبِيُّ
نَظْرَةٌ إِلَى الْعَالِمِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ عِبَادَةِ سَنَةٍ صِيَامِ نَهَارِهَا
وَقِيَامِ لَيَالِيهَا وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلٰى أَشْرَفِ
أَهْلِ الْجَنَّةِ قَالُوا بَلٰى يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ هُمْ عُلَمَاءُ أُمَّتِي فَبَانَ
لَكَ أَنَّ الْعِلْمَ أَشْرَفُ جَوْهَرًا مِنَ الْعِبَادَةِ وَأَنَّ لَا شَيْءَ
أَشْرَفُ جَوْهَرًا مِنَ الْعِلْمِ وَلٰكِنْ لَا بُدَّ لِلْعَبْدِ مِنَ الْعِبَادَةِ
مَعَ الْعِلْمِ وَإِلَّا كَانَ عِلْمُهُ هَبَاءً مَنْثُورًا فَإِنَّ الْعِلْمَ
بِمَنْزِلَةِ الشَّجَرِ وَالْعِبَادَةُ بِمَنْزِلَةِ ثَمَرَةٍ مِنْ ثَمَرَاتِهَا
فَالشَّجَرَةُ أَشْرَفُ إِذْ هِيَ الْأَصْلُ لٰكِنَّ الِانْتِفَاعَ إِنَّمَا يَحْصُلُ
بِثَمَرَتِهَا فَإِذَنْ لَا بُدَّ مِنَ الْعِبَادَةِ لِيَسْلَمَ شَرَفُ الْعِلْمِ وَلَا بُدَّ
لِلْعَبْدِ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ مِنْ كِلَى الطَّرَفَيْنِ وَالْأَمْرَيْنِ جَمِيعًا

وَاعْلَمْ أَنَّ مَثَلَ الْعَالِمِ مَثَلُ الْفَضَاءِ الَّذِي
وَقَدْ قَالَ الَّذِي هُوَ يُعَلِّمُ بِالْخَيْرِ وَهُوَ يُعَلِّمُ أَوْ لَا يُعَلِّمُ
وَمَثَلُ الْعَالِمِ الَّذِي لَا يَعْمَلُ
وَفِيهَا مَا فِيهَا
وَقَالَ أَهْلُ النَّارِ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ
لِنَظْلِمُوا عِلْمًا بِمَا عَلَّمَنَا
حَتّٰى نَعْمَلَ بِمَا عَلِمْنَا

القسم الثاني

الفنون

الفنون ٠

يؤكد الغزالي مرة أخرى نزعته الصوفية في اهمال هذه المادة من بين هذه العلوم فهو يكاد يغفلها تماما لولا اشارات بسيطة هنا وهناك تشير اليها على انها من العلم الذى لا يحسبه محمودا ولا يعده مذموما بل يجعله مباحا فقط ٠ فهو يقول في العلم بالأشعار انه علم لا خير فيه اذا كان مقصود الشعر المدح والذم والتشبيب انما يباح تعلمه اذا لم يقصد به ذلك بل كان كلاما حسنا وقولا في الفضائل والمحاسن الالهية ٠(١)

ثم نجد كلام الغزالي في الموسيقى قليلا جدا لا يستشف منه غير انه يبلغها من نفسه مكانا حسنا فلا يحرم سماع اللحن الموزون الطيب سواء أكان صادرا من الوتر ام عن الحنجرة ٠فالغزالي اذن لا يغض من شأن الموسيقى بل هو يعتبرها فنا جميلا، يقبل منها ما يغيب النفس في نقاوة مشاعرها وصفاوة خلجاتها ويقبح فيها مالا يقي الخلق العطب وما لا يبعد الطبع عن مثار الشهوة ٠

والغزالي يبيح الغناء كما يبيح الرقص ايضا ولكنه يلزم فيهما البعد ،كل البعد عما يثير الشهوات ، ولا عجب فقد بات معروفا حتى الآن عند القارئ ان الغزالي انما يضع حول الشهوة اسوارا من حديد ، ولا تكون النفس النقية عنده الا لمن احتاط وكان شديد الحذر ٠

ولا يفوتنا عند التكلم في هذا الباب ان نقول ان الغزالي لم يعن عناية خاصة بتربية الاذواق ، ومن الآراء التي ذكرناها له في الفنون الجميلة، نستدل على مدى اهتمامه بمذاق الاذواق اكثر من الذوق نفسه ،فهو لا يريد تنميتها ،اى تنمية الاذواق في ذواتها بل هو يهتم في اعدادها لتذوق ما وضعت له ، وخلقت لأجله،ففي نظر الغزالي وجد الذوق في الانسان لتذوق المعارف الخاصة بالقلب والمفضية الى افراح هذا القلب واسعاده ٠

---

١ ــ احياء، ج ١ ،ع ٠ س ٠ ، ص ٢٣ ٠

القسم الثالث
علم الاخلاق

ان علم الاخلاق من العلوم التي يراد منها تكييف خلق الانسان واعداده لتقبل المعارف، وهو من اجل هذا يحله مكانا رئيسيا بين مواد المنهج ويجعله علما ضروريا لازما، ووسيلة اصلية للوصول الى هدف النظام التربوى ، الهدف الذى يتوخى منه تحقق الكمال الانساني المسعد في الدين والدنيا .

رأينا فيما تقدم ان قلب الانسان هو العارف عنده ، اى عند الانسان ، وان العلوم المركوزة بالفطرة هي المعروفة لديه، اى لدى القلب ، فلا بد اذن من معرفة وجوب اعداد هذا القلب لتقبل مثل هذه المعارف وان الغزالي يلجأ الى علم الاخلاق ليساعده على تحقيق هذا الغرض اذ عن طريقه يتم تطهير القلب ويحصل استصلاحه من أجل تقبل العلوم التي لا تحصل له الا بطهره وتنقيته .

اهتم الغزالي في اعداد منهجه بالعلوم الخلقية وان اهتمامه هذا يأتي متمشيا مع ميله الى الروحانية ، الميل المتسبب عن نزعته الصوفية وانه بسبب هذا الميل وبدافع هذه النزعة يعطي الخلقيات قيمة وافية من بين العلوم ويعتبرها علما نافعا للانسان في حياته الدينية والدنيوية على السواء ولا يستطيع الاستغناء عن هذا العلم ، من حيث تكييف خلقه وتحقيق انسانيته .

تعريف الاخلاق .

ذكرنا فيما تقدم اهمية علم الاخلاق واهتمام الغزالي بالعلوم الخلقية ، ونحن نذكر الان تعريف الاخلاق عنده لنكون على بينه من غايته ومقصده من هذا العلم .

يعرف الغزالي الاخلاق في مواطن عديدة من كتبه بأنها هيئة القلب الصحيحة وصورة المرء الحقة وان هذه الهيئة وتلك الصورة مدركة بالبصيرة وهو يطلب فيهما معا الحسن والكمال ويقرر بأن لا وصول الى هذا الا عن طريق الدراسات الخلقية والتمرس بالفضائل وفيما يلي نذكر الفضائل التي يوجب الغزالي التمرس بها .

الفضائل الخلقية .

ان الفضائل عديدة عند الغزالي فهو يذكر في مؤلفاته منها ما لا حصر له لكنه يجمع فروعها وانواعها في أربعة ، الحكمة والشجاعة والعفة والعدالة ويدعوها امهات الفضائل،[1]

١ ـ الغزالي ، كتاب ميزان العمل ، ع . س . ، ص ٨٣ .

ويحسب ان من يحصل عليها بالتعلم ويصل اليها بالتمرس ينال ثمرة علمه ويحصل على نتيجة عمله • ونحن نذكر هذه الفضائل الاربع واحدة واحدة مشيرين الى نوعها وأهميتها ، وطرق تعلمها ثم تهيء القلب بها وهي : ـ

الاولى ، الحكمة : الحكمة عند الغزالي هي رأس الفضائل وانها قوة العلم بالصواب[١] وان حسن هذه القوة وصلاحها هو بأن تصير بحيث يسهل بها ادراك الفرق بين الصدق في القول والكذب فيه وبين الاعتقاد الحق والاعتقاد الباطل ثم بين الفعل الجميل والفعل القبيح.[٢]

وان الحكمة عند الغزالي من الاهمية بمكان يجعلها رأس الفضائل واول الاخلاق الحسنة وعن طريقها يبلغ الانسان الدرجة العالية والمنزلة الشريفة ،[٣] والغزالي يرى ان التخلق بها ايسر على الانسان من العبادة وان تعلمها يكون بمراقبة النفس والميل بها الى ضد ما تهوى بالتأديب والترويض وحمل تلك النفس على الاتيان بالعمل المطلوب حملا لا اختيار لها معه ، حتى يتم لهذه النفس بعد تكرار الرياضة ومداومة العمل الهيئة التي تصلح بها لتقبل المعارف ونيل العلوم •

الثانية ، الشجاعة : ان فضيلة الشجاعة من الفضائل المهمة وان التمرس بها ضرورى من اجل اصلاح القلب وتحسين هيئته ، وهذه الفضيلة يراها في الحالة المتوسطة بين امرين هما التهور والجبن ، وفي طريقة تحصيلها يذكر انها تتم بالانقياد الى العقل المتأدب بالشرع •

الثالثة ، العفة : يحسب الغزالي العفة فضيلة القوة الشهوانية وهو دائب الطلب في اصلاحها ويجد ان في صحتها صحة القلب وفي اعتدالها استنارته فيصبح مائلا نحو العلم وقابلا للعلوم •

ويرى الغزالي ان تمام فضيلة العفة هو في توسطها بين الشر والخمود ولذلك يعتني بهذه القوة في اكثر التأديبات والارشادات التي تحتوى عليها الخلقيات عنده ويشير الى ان تقويتها تكون عن طريق الامتثال للعقل كأن يترك الانسان ما تستقبحه القوة العقلية وتنهى عنه ويتمسك بما تقتضي هذه القوة نيله وتحصيله .[٤]

---

١ ـ الغزالي ، كتاب ميزان العمل ، ع • س • ، ص ٨٤ •
٢ ـ احياء ، ج ٣ ، ع • س • ، ص ٥٢ •
٣ ـ المصدر نفسه ، ص ٥٠ •
٤ ـ الغزالي ، كتاب الميزان العمل ، ع • س • ، ص ٦٥ •

الرابعة ، العدالة : يصح ان يقال ان العدالة ليست جزءا من الفضائل بل انها عبارة عن جملة الفضائل او هي حال هذه الفضائل لان بها كمال كل فضيلة وتمام كل خلق وكذلك لانها تعتبر صلاح الفضيلة وضابط الخلق على الوجه والحد اللازمين .

ان العدالة المشار اليها هنا على انها كمال كل فضيلة انما معيارها الشرع ، فالطريق اليها اذن يكون بالتقيد بأحكام الشريعة والتمسك في آداب الدين . وبهذا يكون الحكم على الاخلاق عند الغزالي بأنها من حيز الدين وان علومها مستمدة من كتاب الله وسير الانبياء وحكم الاولياء والمتصوفين ولا عجب في هذا وقد استوضحنا روحانية الغزالي وتحققنا من نزعة الصوفية في عدة امور ارتكز عليها نظامه التربوى وجملة علوم احتواها هذا النظام .

تربية الخلق .

يرى الغزالي ان الانسان من حيث هو انسان يقبل جميع الصفات، وباستطاعته التخلق بأى نوع من الخلق فهو انما يولد على الفطرة ويتخلق بما تحمله التربية اليه من اعتياد وتعلم [1] وفيما يأتي طريقته في هذه التربية وأسلوبه في هذا الاعتياد وهذا التعليم .

عملية التربية الخلقية : تقتضي عملية التربية الخلقية عند الغزالي ناحيتين بارزتين هما تذكية القلب عن الاخلاق المذمومة وتحلية هذا القلب بالاخلاق المحمودة ، واننا نجد في هذا تلاؤم هذه العملية مع الاخلاق التي عرفها الغزالي ومع الغرض الذى يهدف الى بلوغه عن طريق تكامل تلك الاخلاق . ومن قبيل تذكير القارئ نعيد القول بأن الخلق هو هيئة القلب عنده وان غرض تكامل الاخلاق هو جلاء القلب واعداده من اجل العلوم والمعارف ونحن نتناول فيما يلي :

اولا ، ناحية تزكية القلب : يذكر الغزالي اخلاقا كثيرة مذمومة يلزم تزكية القلب عن جميعها حتى تتم السلامة المطلقة [2] وان هذه السلامة المطلقة واجبة وضرورية للقلب، تهيئة لتقبل العلوم وادراك المعارف . اما جملة هذه الاخلاق التي لا يسلم القلب معها بل تكون سلامته بتزكيته عنها هي تلك المندرجة دائما تحت حدى الفضيلة اللذين هما الافراط والتفريط، ونكتفي على سبيل المثال بالقول ، ان التبجح وصغر النفس هما حدا افراط لفضيلة الشجاعة [3] ، وان الشره وكلال

١ ـ احياء ، ج ٣ ، ع . س . ، ص ٥٩ .
٢ ـ الغزالي ، كتاب الاربعين في اصول الدين ، ع . س . ، ص ١٧٥ .
٣ ـ الغزالي ، كتاب ميزان العمل ، ع . س . ، ص ١٠٠ .

الشهوة جانبا زيادة ونقصان لفضيلة العفة ،[1] كـ من دون ذكر كل الاخلاق وذلك لاستغناء الموضوع عنها اذ المهم فيه اهمية تربية الخلق والاساليب المتبعة في عملية هذه التربية ومن يشأ ان يعرف جملة هذه الاخلاق المذمومة واصولها فليرجع الى تصانيف الغزالي فيها فهي واردة في مؤلفات عديدة له ، من بينها "كتاب ميزان العمل " و "جواهر القرآن" و "كتاب الاربعين في اصول الدين "كما ان ذكرها وارد ايضا في "احياء علوم الدين" .

اما الطريقة التي يلجأ اليها الغزالي لتساعده على الوصول الى المقصد والغرض، الذى هو هنا تزكية القلب عن الخلق المذموم، يصلح لأن يقال فيها انها طريقة علاج وان خطواته فيها متشابهة تماما بالخطوات التي تتخذ في معالجة الابدان لا سيما والغزالي يعتبر دائما الخلق المذموم علة نازلة في القلب متسببة في سقمه وابعاده عن الصحة والسلامة ، ولأن لهذه العلة اطباء هم المعلمون والمرشدون في اعتقاده، كما ان لها ايضا ادوية ومطببات تصلحها ولننظر اذن كيف يكون هذا العلاج وبماذا تتم اساليبه ؟ ...

يلزم الغزالي المربي اول الامر معرفة طالب العلاج كأن ينظر في استعداده لتقبل هذا العلاج والاستفادة منه فان وجده يفتقر الى التمييز بين الحق والباطل والجميل والقبيح لانه خال من الاعتقادات ولم يسبق له ان اتبع لذة، عالجه باليسر والسهولة، فمثل هذا الانسان سريع القبول، وقابل للتحسن، لا يحتاج الا الى المعلم او المرشد . اما اذا كان الانسان الراغب في المعالجة يعرف قبح القبيح ويتعاطاه منقادا لشهوته معتادا عليه لا يتركه فأمر المربي معه اصعب في هذه الحالة لتضاعف العمل عليه اذ يلتزم معه عندئذ قلع ما رسخ في نفسه من كثرة الاعتياد للفساد وغرس صفة الاعتياد للصلاح ،غير ان العلاج في مثل هذه المشكلة لازم وان الفائدة في مثل هذه الحالة حاصلة لان الانسان يكون مع حالته قابلا للرياضة ان هو جد في طلب العلاج واجتهد في الرياضة وعقد العزم على الا يعود الى سابق حالته .[2]

ويصلح العلاج وترجى الافادة منه في مثل هذيه النموذجين من الناس: النموذج الفطرى الذى لم يتعلم شيئا بعد ،والنموذج الذى تعلم بعض العادات، انما يشترط في المعلم او المرشد المقدرة على احداث مثل هذه المعجزات التربوية اذ ان معالجة القلوب امر

---

١ ـ الغزالي ، كتاب ميزان العمل ، ع . س . ، ص ٩٥ .
٢ ـ احياء ، ج ٣ ، ع . س . ، ص ٥٥ .

دقيق توجب الى جانب معرفة الانسان معرفة العلة ثم معرفة اسباب العلل كما تطلب الجد والجهد والتعب ممن بيديه امر العلاج .(١)

ثم يذكر الغزالي المعيار الذى تقاس به الصحة بعد المعالجة وهو الاعتدال فلينظر كل من المعالج والمعالج في العلة التي يعالجانها حال الوسط فان بلغاها يكونان قد وصلا الى المطلوب .

ثانيا ، ناحية تحلية القلب بالاخلاق المحمودة : يصح ان يقال في ناحية تحلية القلب انها تدين وعبادة الغزالي يشير في عدة مواطن الى الاخلاق التي يلزم تخلق القلب بها على انها آداب في الدين وانها صفات للعابدين ، ثم يقول ان هذه الاداب ضرورية لكل مشتغل بالعلم والتعلم ، فلا يترك العلم ولا المعلم ، ولا القرين ، ولا معلم الصبيان ولا المحدث في العلم ، ولا طالب حديث العلم ولا الكاتب ولا الواعظ ولا المستمع للوعظ ولا الناسك ولا الصوفي وهو يشير الى كل ذلك في ارشادات يفترض على هؤلاء التأدب بها ، وان اكثر شروحاتها واوفاها قدرا ورد في كتاب له اسماه "الادب في الدين ".

فاذا تساءلنا كيف يكون هذا الدين وبماذا تصلح العبادة ؟ يجيب الغزالي انما تكون اولا باتخاذ العلم سبيلا لتعرف به الاخلاق ومن بعد تأتي طرق الاكتساب التي يحصرها في ثلاث : ـ

الاولى ، الاكتساب بتكلف الافعال : يرى الغزالي ان بين القلب والبدن اى بين النفس والجوارح علاقة قوية ورابطة تبدو عجيبة وذلك ان الصفة التي تظهر في القلب يفيض أثرها على الجوارح كما أن الفعل الذى يجرى على الجوارح يرتفع أثره الى القلب فان تكلفت الجوارح ، الخلق الحسن ارتفع الاثر الى القلب (٢) وكذلك ان تكلف القلب الخلق الحسن فاض الاثر على الجوارح وبالتكرار والمداومة يصبح الخلق عادة للجوارح كما يصبح هيئة للقلب .

الثانية ، الاكتساب بالمخالطة والتعلم : يلجأ الغزالي الى الاختلاط بالمتخلقين بالخلق الحسن كيما تحصل تحلية القلب بالاخلاق المحمودة فالغزالي يذكر اهمية هذه الناحية وكثيرا ما يدعو اليها وهو يشير في مجالات متعددة الى ان تعلم الاخلاق المحمودة يكون بالنقل عن المتخلقين بها فلا اصلح من اخذ اليقين عن الموقنين والصدق عن الصادقين وهكذا في كل خلق

---

١ ـ احياء ، ج ٣ ، ع . س . ، ص ٦١ .
٢ ـ المصدر نفسه ، ص ٥٨ .

جميل وأدب صالح .

الاكتساب بالمجاهدة والرياضة : ان تأثر الغزالي بالمربين الصوفيين يظهر بالمظهر الواضح في ناحية اكتساب الاخلاق المطلوبة بالمجاهدة والرياضة فهو مثلهم يلجأ اليها في تحلية القلب بالخلق المائل به الى الصحة .

يطلب الغزالي في عملية المجاهدة والرياضة حمل النفس على العمل الذى يقتضيه كل خلق محمود . وكثيرا ما يكون هذا ميلا بالنفس عما ترغب وتهوى الى ما لا ترغب ولا تهوى فمثلا اذا اراد الطالب ان يحصل لقلبه خلقا لاتهواه نفسه ، يحملها قسرا على فعله انما يتدرج معها من السهل الى الصعب فالاصعب وهو يداوم المراقبة ويلازم المحاسبة ، مجاهدا نفسه مواظبا على تكرار العمل حتى يصير الخلق لذيذا للنفس التي تصبح راغبة فيه مطمئنة اليه، متلذذة بفعله .

هذه هي الاساليب التربوية التي يلجأ اليها الغزالي في تهذيب الاخلاق ويعتمد عليها في تعويد القلب العادات الحسنة وتخلقه بالاخلاق المحمودة حتى تحصل سلامته ويتم جلاؤه فيصبح مائلا الى العلم قادرا على تحصيل العلوم .

القسم الرابع
الملكات البشرية التي تتخلق بالتربية

يصرف الغزالي في العملية التربوية العناية الى ملكات خلقت عند الانسان ان نمت وقويت ثم نمو هذا الانسان وحصل تكامله وهذه الملكات هي التالية : ـ

اولا ، الارادة .

تحظى الارادة عند تحقيق "انسان الغزالي" بالاهمية الكبرى فهو يتوجه اليها في حال رغبته تعليم اى علم يرسخ في نفس المتعلم فمن الواجب اذن ان تنمى الارادة وان تقوى ولنبحث اولا في اسباب اهميتها ثم نبين طريق الغزالي في تقويتها .

يدرك الغزالي ان قلب الانسان جعل الانسان عظيما مستأهلا القرب بسبب ما يختص به من علم وارادة فالانسان عندما يدرك بالعقل عواقب الامور وطرق الصلاح في هذه العواقب يتوق الى تعاطي اسبابها ولن يتعاطى هذه الاسباب الا بالارادة ،[1] فالارادة اذن هي الباعث المتحكم في القدرة المبتدئة في سائر الاعضاء الظاهرة التي يتم بها تحصيل المقصد كما تتحكم ايضا في الحواس الباطنة من القلب ونحن سبق لنا ان اشرنا ان للقلب حواسا عارفة تعرف بها المقاصد . وهكذا تكون هذه الارادة ضرورية لا تستغني حواس القلب عنها لوقوعها بينها وبين الحواس الظاهرة فلولا هذا الباعث المحرك الى جانب الحواس الباطنة لضاع حكمها وتغلب حكم الحواس الظاهرة عليها ، فتميل بالانسان الى غير ما يطلب الغزالي به ويتحقق من الناس غير الانسان الذى يسعى الى تحقيقه .[2]

يعتمد الغزالي على الارادة اذن اعتمادا كبيرا ، ويرى ان الاستعانة بها لا تضيع احكام الحواس العارفة من القلب ، المغالبة للحواس الراغبة من البدن ، وان بالارادة النامية تكون الغلبة الدائمة للحواس الباطنة التي عن طريقها يرجى الوصول الى الهدف وبلوغ اقصى الطريق .[3]

ذكرنا اهمية الارادة عند الغزالي واعتماده عليها في عملية العلم والعمل ونأتي بالتالي الى طريقته في تقويتها فنشير اول الامر الى اعتماده في هذا على المربين والمعلمين وهو يدعوهم

---

١ ـ احياء ، ج ٣ ، ع . س . ، ص ٧ .
٢ ـ المصدر نفسه ، ص ٦ .
٣ ـ المصدر نفسه ، ص ٧٣ .

العلماء بالله والمذكرين والهداة، [١] هؤلاء يستطيعون تقوية الارادة عن طريق البدء بتعليم الايمان [٢] حتى اذا استقام للمرء ايمانه وتحددت عقيدته بانت عنده الارادة وصح عندئذ التوجه اليها ونحن نتناول هذه العملية في سطور معتمدين فيها الايفاء بالغرض فنقول، انه في بداية الارادة اى عند اثباتها بعد الايمان يلجأ المربي عند تقويتها الى اعانة الطالب على دفع كل ما يضعفها ويحصر الغزالي اسباب المضعفات في المال والجاه والتقليد والمعصية فيرى أن السبب الاول يدفع بترك كل ما يملك الطالب فلا يبقى الا على القليل الذى لا يستغني عنه والثاني يدفع بالتواضع والتهرب من اسباب المدح والذكر والثالث يدفع بترك التعصب للمذهب والرابع يدفع بترك كل معبود، اى ترك كل هوى للنفس، فلا يبقى للطالب معبود غير الله ولا يجعل لقلبه شاغلا غيره. [٣]

وهكذا نجد الغزالي يلجأ في تقوية الارادة الى طريقة ابعادها عما يضعفها، اذ ان حفظها يقتضي الجهد في العمل والدأب عليه.

ثانيا، الضمير.

الضمير ككل ملكات الانسان وقواه يمكن ان ينمى بالتربية ويضعف بالاهمال، فبالاعمال يضعف الضمير وينال هذا الاهمال منه ضعفا يصل به الى حد ينعدم معه والغزالي يخشى انعدام الضمير، وهو لهذا السبب يلجأ في تنميته وتقويته عند الطالب الى أسلم الطرق، فهو يطلب مداومة الذكر اى ذكر العبادات كما يطلب الاستمرار في تعاطي الطاعات فتكون الرياضات عند الغزالي والمجاهدات في العمل المحمود من اجل تقوية هذا الضمير من حيث انها استجابة الى صوته فهو بأصله دائم النداء، آمر في كل حركة.

اننا واجدون في الرياضة والمجاهدة اللتين اشرنا اليهما مرات عديدة وفي مواطن كثيرة من البحث انهما تبطنان حقيقة تربية الضمير والعمل على جعله كبيرا عند الانسان ضخما في كيانه، وهما حمل النفس على الاعمال التي يقتضيها الخلق الحق الذى اصبح معروفا عندنا انه هيئة القلب واذا ما نحن تعمقنا اكثر في فهم هذه الهيئة وجدناها الضمير او صوت الضمير.

---

١ ـ احياء، ج ٣، ع. س.، ص ٧٣.
٢ ـ المصدر نفسه.
٣ ـ الغزالي، المقصد الاسنى، ع. س.، ص ٤٤.

وبالنتيجة يحصل الغزالي على انسانه الذى ، تكون لقلبه جميع العادات الحسنة بفعل الضمير الحي الذى يواظب على هذه العادات مواظبة الراغب في الفعل الجميل والمتنعم به، المستنكر للفعل القبيح والمتألم منه .(١)

ثالثا ، النيـــة .

الى جانب اهمية الارادة والضمير يؤكد الغزالي اهمية النية فيقول في "القواعد العشرة"، وهي قواعد سلوك جاء بها في رسالة صغيرة تقدم لنا خلاصة تفكيره الاخلاقي "قد يمكن ان تعبد طريق جهنم بالنوايا الحسنة الصادقة ولكن طريق الجنة لا يمكن ان تعبد بدونها ."(٢)

يتضح مما تقدم اهتمام الغزالي بالنية اذ تصبح عنده اول قاعدة من قواعد سلوك طريق الجنة والغزالي قد اوصد في وجه الطالب كل الطرق الا ها ولنرى من اقواله لماذا يهتم بها الى هذا الحد فيتخذها قاعدة اولى في سلوك الطريق الى مقصد العلم وغاية العمل . فيقول انها "احد جزئى العبادة الى جانب العمل ولكنها خير الجزئين"(٣) . كما يوضح في مكان آخر بأن السعادة لا ترجى الا بها فيقول : "لا وصول الى السعادة الا بالعلم والعمل والناس هالكون الا العالمون والعالمون هلكى الا العاملون والعاملون هلكى الا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم فالعمل بغير نية عناء والنية بغير اخلاص رياء ."(٤)

لنذكر اذن حقيقتها بعد ان اشرنا الى اهميتها فحقيقة النية عند الغزالي انها الميل الجازم للقدرة التي هي خلف الارادة، فبالانسان ميل الى اللذات الآجلة، تستنهض هذا الميل عنده المعرفة لديه ثم هو بحاجة الى قدرة جازمة منبعثة عن المعرفة متسببة عن هذا الميل عنده باعثة للقدرة الخادمة للارادة،(٥) يفهم من هذا انها روح العمل ، وانها انبعاث القلب ونزوعه وتوجهه وميله الى مايعلم، والغزالي على جارى عادته يستشهد بالشرع ليوضح ما يريده، ويقوى حجته ويدعم موقفه فيقول في هذا المجال "انما الاعمال بالنيات "(٦)

---

١ ــ احياء ، ج ٣ ، ع . س . ، ص ٥٧ .
٢ ــ فارس، ع . س . ، ص ٢٦٢ .
٣ ــ الغزالي ، كتاب الاربعين في اصول الدين ، ع . س . ، ص ٢٢٧ .
٤ ــ احياء ، ج ٤ ، ع . س . ، ص ٣٥١ .
٥ ــ الغزالي ، كتاب الاربعين في اصول الدين ، ع . س . ، ص ٢٢٦ .
٦ ــ الغزالي ، منهاج العارفين ، مصر : مطبعة السعادة ، ص ١٠٥ .

اما كيف يربي الغزالي النية ، هذا ما سنبحثه فيما يلي :ـ

اولا بالتعلم : ان الوظيفة الاولى الواجبة على المرشد القيام بها في حلل تربية النية ان يعلم المريد النية حتى تحصل له المعرفة اولا [١] وهو يعلمه اياها من سور القرآن ومن قصص الاولياء وسير الصالحين ، فيوضح له معنى النية من وراء كل عمل فيشير في بعض المجالات الى الصدق والاخلاص فيها كما يشير في مجالات اخرى الى استمرارها وثباتها وعدم تغيرها .[٢]

ثانيا ، بالعمل : بعد ان يتم للمريد تعلم النية بحيث يصبح قادرا على فهم حقيقتها لما يقتضيه الصدق والاخلاص فيها ، والاستمرار بها والثبوت عليها يصبح قادرا على تصحيحها بالاعمال [٣] والاعمال هذه انما هي ثلاثة اقسام ، طاعات ومعاصي ومباحات اذ لا بد للعبد من النية في كل حركة وسكون ، فبالطباعة ينوى عبادة الله وكل فعل خير لان بالطاعة الواحدة يمكن ان ينوى خيرات كثيرة [٤] وهذه تقتضي منه رياضة ومجاهدة ترهقه اذ لا شيء على المريد اصعب من حفظ النية ولا تتم له الا بأن يرى في نيته صدقها في ما عزمت عليه ويراقب استمرارها في طلب غرضها ويرافق احوال تغيرها فلا يدع لاى عرض مجالا لان يلويها عن غايتها .

ثم الى جانب تربية النية عن طريق العمل بالطاعات تكون تربيتها وتقويتها ايضا عن طريق ترك المعصية تركا لا عدول عنه اذ ان المعصية لا تتغير بالنية ، بل انها على العكس تؤثر فيها وتغير اخلاصها وتعطل استمرارها فتضعف بذلك وتتلف .

اما المباحثات فيعتبرها الغزالي الى جانب الطاعات معينة للنية على التقوية فاذا ما عمل المريد عملا مباحا نوى به خيرا وصلاحا ، تربت نيته فنمت وقويت .

وهكذا يخلص الغزالي الى ان التربية تبرز ملكات الانسان وتقوى قابليته ، فتبلور الاراد والضمير والنية لديه ، ويركز على النية فيجد صفاءها في التعلم النقي والعلم السوى الذى يقوم به المربي ، استجابة لرغبته الداخلية وتحقيق لذاته النقية المجردة .

---

١ ـ احياء ، ج ٤ ، ع ٠ س ٠ ، ص ٣٥١ .
٢ ـ فارس ، ع ٠ س ٠ ، ص ٢٦٢ .
٣ ـ احياء ، ج ٤ ، ع ٠ س ٠ ، ص ٣٥١ .
٤ ـ المصدر نفسه ، ص ٣٥٩ .

المراجـــع المطبوعـــة

القـــرآن الكريـــم

الغزالي ، ابو حامد محمد بن محمد . مكاشفة القلوب المقرب الى حضرة علام الغيوب في علم التصـــوف .
القاهـــرة :عثمان خليفة ، ١٣٠٠ هـ .

الغزالي ، ابي حامد محمد . الحكمة في مخلوقات الله . القاهرة : خانجي ، الطبعـــة الاولـــى ١٩٠٣ .

الغزالي ، ابي حامد محمد بن محمد . بداية الهداية . المطبعة الحسينية المصرية ، ١٣٢٢ هـ .

الغزالي ، ابي حامد محمد بن محمد . المقصد الاسنى شرح اسماء الله الحسنى .
القاهرة: مطبعة التقدم ، الطبعة الاولى ، ١٣٢٢ هـ .

الغزالي ، ابو حامد محمد . فاتحـة العلـوم . مصـر : ١٣٢٢ هـ .

الغزالي ، ابي حامد بن محمد بن محمد . منهاج العابدين . المطبعة الحسينية المصرية ، ١٣٢٢ هـ .

الغزالي ، ابي حامد محمد بن محمد . الاقتصاد في الاعتقاد . القاهرة: جمالي وخانجي ، الطبعة الثانية ، ١٣٢٧ هـ .

الغزالي ، ابي حامد محمد بن محمد . كتاب ميزان العمل . مصر : مطبعة كردستان العلمية ، سنـة ١٣٢٨ هـ .

الغزالي ، محمد . معيار العلم في فن المنطق . مصر : مطبعة كردستان العلمية ، ١٣٢٩ هـ .

الغزالي ، ابي حامد محمد بن محمد . معراج السالكين ويليه منهاج العابدين في روضـة الطالبين وعمدة السالكين . اعتنى بتصحيحه محمد بخيت . القاهرة : منح زكـى الكردى ، الطبعة الاولى ، ١٩٢٤ .

الغزالي ، ابي حامد محمد بن محمد . كتاب الاربعين في اصول الدين . مصر : المطبعـة العربية ، الطبعة الثانية ، سنة ١٣٤٤ هـ .

الغزالي ، ابي حامد بن محمد . جواهر القرآن . القاهرة : المكتبة التجارية الكبرى ، الطبعة الثانيـة ، ١٩٣٣ .

الغزالي ، ابي حامد محمد . الجواهر الغوالي . مصر: مطبعة السعادة ، الطبعة الاولى ، سنة ١٣٥٣ هـ . ١٩٣٤ م .

الغزالي ، ابي حامد محمد بن محمد . جامع الحقائق بتجريد العلائق . ابسالة : المكويست وريكسل . سنة ١٩٣٧

الغزالي ، ابي حامد محمد بن محمد . احياء علوم الدين . ٤ اجزاء ، مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده ، ١٣٥٨ هـ . ١٩٣٩ م .

الغزالي ، ابو حامد . المنقذ من الضلال . قدم له وعلق عليه الدكتور عبد الحليم محمود . القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ، سنة ١٣٧٢ هـ . ١٩٥٢ م .

الغزالي ، ابي حامد محمد بن محمد . سراج الطالبين . شرح احسان محمد دحلان على منهاج العابدين . القاهرة : البابي ، الطبعة الاولى ، ١٩٥٥ ـ ١٩٥٦

الغزالي ، المنقذ من الضلال . صفقه وقدم له جميل صليبا وكامل عياد ، دمشق: مطبعة الجامعة السورية ، الطبعة الخامسة ، ١٩٥٦ .

الغزالي ، الامام ابو حامد . القسطاس المستقيم . قدم له وذيله واعاد تحقيقه الاب فكتور شلحت اليسوعي ، بيروت : المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٥٩ .

الغزالي ، ابي حامد بن محمد . بيان الطريق في رياضة الصبيان في اول نشوئهم ووجه تأديبهم وتحسين اخلاقهم . السنة ؟

الغزالي ، ابي حامد محمد بن محمد . بداية الهداية . مصر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، السنة ؟

الغزالي ، منهاج العارفين . مصر: مطبعة السعادة ، السنة ؟

المحاسبي ، الحارث بن أسد . كتاب التوهم . عني بنشره الدكتور أ . ج . آربوى . القاهرة: ١٩٣٧ .

الكلاباذى ، ابو بكر محمد بن اسحق البخارى . التعرف لمذهب اهل التصوف . تصحيح واهتمام آرثر جون آربرى ، القاهرة : مطبعة السعادة ، ١٣٥٢ هـ ـ ١٩٣٣ م .

ابن النديم . الفهرست . المكتبة التجارية الكبرى بمصر ، السنة ؟

المكى ، ابي طالب محمد بن ابي الحسن علي بن عباس . قوت القلوب . الجزء الاول والثاني السنة ؟

السراج ، ابي نصر • اللمـــع • حققه وقدم له الدكتورعبد الحليم محمد • مصر: ١٣٨٠ هـ • ، ١٩٦٠م •

السلمي ،ابي عبد الرحمن محمد بن محمد بن موسى • آداب الصحبة وحسن المعاشرة • منشورات الجمعية الشرقية الاسرائيلية ، يافا: مطبعة الحكومة ، ١٩٥٤ م •

ابن حزم ، ابي محمد على بن احمد بن سعيد • جوامع السيرة وخمس رسائل اخرى • مصـر : دار المعلوف ، السنـــة ؟

القشيرى ، عبد الكريم بن هوازن • الرسالة القشيرية • القاهرة : ١٣٢٠ هـ •

السهروردى ، حكمة الاشراف ورسالة في اعتقاد الحكماء • طهران : ١٩٥٢ •

الطيباوى ، عبد اللطيف • التصوف الاسلامي العربي : بحث في تطور الفكر العربي • مصـر: دار العصور للطبع والنشر ، ١٩٢٨ •

الميرغني ، حامد علي اسماعيل • لمحات عن التصوف • مصر : مطبعة شباب محمد ، الطبعة الاولى ، ١٣٦٩ هـ •

الفاخورى ، حنا • تاريخ الفلسفة العربية • بيروت : دار المعارف ، ١٩٥٧ ـ ١٩٥٨ •

العثمان عبد الكريم • سيرة الغزالي واقوال المتقدمين فيه • دمشق : دار الفكر ، ١٩٦١ •

ابن الجوزى ، تلبيس ابليس • مصر: مطبعة النهضة شارع عبد العزيز ، ١٩٢٨ •

ابن خلدون ، المقدمة • الجزء الاول • بيروت : طبعت في المطبعة الادبية ، ١٨٧٩ •

ابن خلكان ، وفيات الاعيان وابناء الزمان • الجزء الاول • مصر : الطبعة الاخيرة ، مطبعـة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ١٣٥٥ هـ • ، ١٩٣٦ م •

بدوى ، عبد الرحمن • شطحات الصوفية • ابو يزيد البسماطي • القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٤٩ •

عزقول ، كريم • العقل في الاسلام • بيروت : مطابع صادر ريحاني ، الطبعة الاولى ، ١٩٤٦ •

مبارك ، زكى • التصوف الاسلامي في الادب والاخلاق • الجزء الاول والجزء الثاني • الطبعة الثانية • مصر ، ١٣٧٣ هـ • ـ ١٩٥٤ م •

مبارك ، زكى • الاخلاق عند الغزالي • مصر : المطبعة الرحمانية ، ١٩٢٤ •

فارس ، نبيه أمين • "الغزالي " ، الابحاث ، ايلول ١٩٥١ ، السنة ٤ ، الجزء ٣ ، ص ٢٥٥ ـ ٢٦٩ •

المراجـــع المخطوطـة

تاريخ دمشق للحافظ ابن عساكر • نسخة خطية في دار الكتب الاهلية الظاهرية بدمشق : الرقـــم العـام ، ٣٣٧٩ •

كتاب التجريد في كلمة التوحيد للشيخ الامام العالم العامل جمـــال الاسـلام احمد بن محمد الغزالي ، مخطوط في دار الكتب الاهليـــة الظاهريـــة بدمشق : الرقـــم العـام ، ١٣٦١ •

منهاج المتعلم للامام احمد بن محمد الغزالي • مخطوط في دار الكـتب الاهليـة الظاهرية بدمشق : الرقـــم العـــام ، ٧٤٦١ •

كتاب برهان العلوم لابي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي • مخطـــوط في دار الكتب الاهلية الظاهرية بدمشق : الرقـــم العام ، ٧٦٢١ •

كتاب ارشاد العباد للامام الغزالي • مخطوط في دار الكـتب الاهلية الظاهريـة بدمشـــق : الرقـــم العـــام ، ١٣٦٠ •

العقيدة القدسية للامام الغزالي ، مخطوط في دار الكـتب الاهليـة الظاهريـة بدمشـــق : الرقـــم العـــام ، ٨٠٧١ •

كتاب بداية الهداية تأليف الشيخ الامام العالم العلامة ابي حامد محمد بن محمد بن محمد الطوسي الغزالي • مخطوط في دار الكتب الاهلية الظاهريـــة بدمشـــق : الرقـــم العـــام ، ٨٠٢١ •

للامـام الغزالي • مخطوط في دار الكـتب الاهليـة الظاهريـــة بدمشـــق : الرقـــم العـــام ، ٦٥١٥ •

بيان الطريق في رياضة الصبيان في اول النشوء ووجه تأديبهم وتحسين اخلاقهـــم للامام الغزالي • مخطوط في دار الكتب الاهلية الظاهرية بدمشـــــق : الرقـــم العـــام ، ٨٩٤٨ •

للامام الغزالي : مخطوط مسمى بالمنقذ من الضلال . في دار الكتب الاهلية الظاهرية بدمشق : الرقم العام ، ٧٦٨٨ .

للامام الغزالي : مخطوط في دار الكتب الاهلية الظاهرية بدمشق : الرقم العام ، ٧٤٦١ .

Al-Ghazal , Ayyuha ' Lwalad. Translated by the Rev. George H. Scherer. The American Press, Beirut, 1933.

Al-Hujwiri, Ali B. , Uthman Al-julabi., The kashf Al-Mahjub. New Edition by Reynold A. Nichlson. Luspac & CO., London , 1936 .

Arberry, Arthur J. An Introduction to the History. of Sufism. Longmans, Green and company , London , 1942.

Arberry, A.J. Sufism. London, George Allen & Unwin Ltd., 1950.

Macdonald, Duncan B. " Emotioal Religion in Islam". As affected By music and Singin. Being a translation of a book of the Ihyà ulum ad-Din of Al- Ghazzali, The journal of the Royal Aeiatic Society of Great Britain, London, 1902. Art. I. P. 18- 22 .

Nicholson , Reynold A. The Mystics of Islam. G. Bell and Sons, London, 1914.

Nikhilananda, Su-ami , Vive Kanada. The Yoga and other Works, Including the chicago Addresses, Jnana, Yoga, Bhakti, Yoga, Karma,Yoga, Inspired Talks and Lectures. Ramakrishna; Vive Kananda center, N.Y. , 1953 .

Plotinus , The Six Enneads, Translated By Stephen Mackenna. William Benton Publisher , London , 1952 .

Smith, Margaret. Readings From the Mystics of Islam. London.

Smith, Margaret. Rabia the Mystic. Cambridge, 1928.

Saunders, Kenneth J. Buddhism. Jonathan Cape and Harrison Smith , N.Y., 1930.

William , Monier. Hinduism. Society for promoting Christian Knowledge , London , 1906 .